السبت 24 تشرين الأول 2020
العدد 4182 السنة الخامسة عشرة
Samedi 24 Octobre 2020 n°4182 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

جان جينيه...
الحقيبة السحرية

تهدئة من اليمن إلى سوريا والعراق ترخي بظلالها على بيروت
ولادة سريعة لحكومة «الأضداد»؟ [2]

الخرطوم
نعم للصّلح
نعم للاعتراف
نعم للتفاوض

[12 ـ 13]

أكّد ترامب أنّ خمس دول عربيّة أخرى على الفلك، بينها السعوديّة، ترغب في إقامة علاقات دبلوماسيّة مع إسرائيل (أ ف ب)

تحقيق

التشريع «ينجح»:
الطلب على الحشيشة يفوق العرض!

6

دراسة

أزمة التعليم
مشاريع الجهات المانحة تحمل أجندات لا تشبهنا

7

تقرير

الليبيّون يتفقون على وقف دائم للنار:
انتهت الحرب؟

14

قضية اليوم

تهدئة من اليمن إلى سوريا والعراق ترخي بظلالها على بيروت

ولادة سريعة لحكومة «الأضداد الاضطراريّة»؟

لم يكَد مرسوم تكليف الرئيس سعد الحريري يصدر حتى برزت مؤشّرات التهدئة. لكلّ طرف حسابات تدفعه إلى إزالة العقبات وملاقاة الطرف الآخر، فهل تولد حكومة «الأضداد الاضطراريّة» سريعاً؟

ميسم رزق

تدخُل البلاد نهاية العام الجاري «المنطقة الخطِرة». التدافُع على أشدّه في الطريق إلى التسوية أو الانفجار. هنا، في بيروت، ثمة من يرى ميلاً داخلياً إلى التهدئة، وخصوصاً مع دخول الإقليم مدار خفض التوتّر. اليمن، هدنة غير مُعلنة في مآرب تسبقها أكبر عملية لتبادل الأسرى بين طرفَي النزاع منذ بدء الصراع، وما بينهما وصول السفير الإيراني الجديد حسن ايرلو الى صنعاء. العراق، تهدئة مشروطة للهجمات ضد القوات الأميركية. سوريا، انسحاب تركي من نقاط عسكرية في حماة، وزيارة لمسؤول أميركي بهدف التوصّل الى «صفقة» للإفراج عن الصحافي الأميركي أوستين تايس. يتحقّق ذلك، فيما كان لبنان يُعلن عن انطلاق التفاوض غير المباشر مع العدوّ الإسرائيلي على ترسيم الحدود البحرية. وفي المفكرة اللبنانية، تحمل الأسابيع والأشهر المقبلة استحقاقات صعبة تبدأ بالانتخابات الأميركية، مروراً بأخرى في سوريا، وصولاً إلى قطار

> **نُصح باسيل بأن لا يلعب لعبة الحريري ولا يسمح له بإخراجه من الحكومة**
>
> **أن ينتهي عهد عون بحكومة «أضداد اضطراريّة» أفضل من أن يُختم بـ«دمار شامل»**

التطبيع العربي - الإسرائيلي. كلها تستدرج الى علامات استفهام ليس أقلها السؤال عن مصير الحكومة التي يُفترض أن يُؤلّفها الرئيس المُكلف سعد الحريري، كما برنامجها الإصلاحي ومفاوضاتها مع صندوق النقد الدولي وتعاملها مع متغيرات المنطقة والعالم. وفيما لا يُمكن الجزم حتى الآن بمدى ارتباط ولادتها بالمسار التهدوي، لكنه لا شك سيكون عاملاً مساعداً، وإن كان غير ثابت. فوسط هذا المناخ، يأتي خبر عن ضربة إسرائيلية في جنوب سوريا، وطائرة مسيّرة يُطلقها الحوثيون باتجاه السعودية، وتستمر الولايات المتحدة الأميركية في استخدام سلاح العقوبات، آخرها على السفير الإيراني في العراق.

الثابت حتى الآن، أن لا حكومة في لبنان قبل الانتخابات الأميركية. غير أنّ عدداً من الإشارات التي تلت تكليف الحريري، توحي بأنّ العراك السياسي بينه وبين رئيس الجمهورية العماد ميشال عون ورئيس تكتل «لبنان القوي» النائب جبران باسيل، سيكون مُدوزناً في مرحلة التأليف، على عكس ما أوحت به مرحلة ما قبل التكليف. فلم يكد مرسوم تكليف الحريري يصدر حتّى خفتَ سقف العراك. بداية، أكد رئيس مجلس النواب نبيه برّي أن الأجواء تفاؤلية لناحية تأليف

(هيثم الموسوي)

الحكومة. ثم فاجأ باسيل الجميع بمشاركته في الاستشارات النيابية ولقائه الحريري، علماً بأنه أعلن في الاجتماع الأخير للتكتل أنه لن يفعل، حتى التصاريح التي أدلى بها الأطراف، تظهر أن لعبة الشروط والشروط المُضادة قابلة للتعديل في قواعدها. هل لذلك علاقة بما يحصل في المنطقة؟ أم أنه يتّصل باعتبارات القوى السياسية الذاتية؟

لا يُمكن إغفال عامل أساسي داخلي جامع بين هذه القوى يدفعها إلى تدوير الزوايا في ما يتعلق بالتأليف. أوّلاهـا، أن أوضـاع البـلاد المالية والاقتصادية والمعيشية والأمنية لم تُعد تحتمل غياب حكومة فعّالة. فضلاً عن المبادرة الفرنسية التي توفّر، باعتراف الجميع، «مسكّنات» تبعد خطر الانهيار الشامل، قد تكون السبيل الوحيد إلى الإنقاذ. لكن ظهور رغبة مفاجئة بتسهيل ولادة الحكومة يتعلّق أيضاً بحسابات لدى كل طرف، من شأنها أن تدفعه الى إزالة العقبات وملاقاة الطرف الآخر، يُمكن اختصارها وفقَ الآتي:

- بالنسبة إلى حزب الله، يبقى الاستقرار في البلد على رأس لائحة الأهداف في الداخل. فالفوضى والانهيار يعنيان تكبّده كلفة كبيرة، ولا سيما أن أمينه العام السيد حسن نصر الله تعهّد بعدم السماح بتجويع لبنان. ففي مرحلة كهذه، سيكون الحزب أمام مسؤولية كبيرة تتعلق ببيئته، ولذا إن كانَ الخيار هو التسوية لضمان استقرار يحمي جميع اللبنانيين ويوزّع المسؤولية على الجميع، فلا مانع به. يعلم الحزب أن رئيساً كحسان دياب وحكومته لن يبدّلا شيئاً في واقع الأمور، وإن دولاراً واحداً من المساعدات لن يدخُل الى البلاد، لذا يبقى الحريري خياراً أقل سوءاً، وإن كانت فرصته غير مضمونة، لكنها تبقى فرصة.

- رئيس الجمهورية العماد ميشال عون يُريد إنقاذ ما تبقّى من عهده. ضياع أشهر عديدة على تأليف حكومة، يعني هدراً للوقت. أن ينتهي عهده بحكومة «أضداد اضطرارية»، أفضل من أن يُختم بـ«دمار شامِل» على كل المستويات.

- بعدَ فشل عدد من رجال الأعمال - الأصدقاء المشتركين بين الحريري وباسيل في لمّ شملهما، تراجع الأخير خطوة. لم يكُن تراجعاً ينمّ عن تنازل بقدر ما هو إدراك للمصلحة. وصلت أخيراً إلى مسامع باسيل نصيحة مفادها أنه «إذا كانَ الحريري يدفعك إلى الخروج من الحكومة فلا تلاقه في منتصف الطريق، بل ابق فيها ولاعبه من الداخل، وهناك من سيساعدك»، كما أن «ما تريده قد تحصل عليه داخل مجلس الوزراء، لكن الأكيد أنك لن تحصل عليه وأنت في خارجه». سُئل باسيل عمّا إذا كان يريد أن يكون في موقع المعارضة، وأجيب عن السؤال نفسه بأن المعارضة ستظهر معارضة للعهد وليس للحكومة، فهل المطلوب مقاطعة العهد؟ ناهيك عن أن عون لا يُمكن أن يدير معركة وحده باستخدام توقيعه وحسب، فهناك الكثير من الملفات داخل مجلس النواب، وعون بحاجة الى من يعاونه في هذا المعلب. أما بالنسبة إلى رئاسة الجمهورية التي ينطلق منها باسيل في كل حساباته، فلا «تضمنها الخصومات الشخصية والدائمة»!

- كان الحريري بالنسبة الى الرئيس برّي ولا يزال الشريك الوحيد المقبول داخل أي حكومة. يأتي دياب ويذهب، ثم يأتي غيره، يبقى رئيس مجلس النواب مقتنعاً بأن الإدارة مع الأصيل أبقى من الوكيل. وانطلاقاً من تمسكه بالمبادرة الفرنسية كفرصة أخيرة للإنقاذ، فمن الضروري بالنسبة إليه تذليل كل العقد أمام التأليف.

- أما الحريري فتعني له العودة إلى الرئاسة كنفخ الروح فيه. لا حياة سياسية للحريري خارج السرايا. يريد رئيس تيار «المستقبل» الكرسي لأسباب تتعلق أولاً بطائفته وجمهوره، حيث تتيح له هذه العودة إعادة تعويم نفسه وقطع الطريق على من يريد أن يدخل شريكاً مُضارباً عليه من العائلة أو خارجها. أما على صعيد الدائرة الأوسع، فلا شكّ أنه يريد استغلال الفرصة لتكريس نفسه «رئيس الأمر الواقع الذي لا بديل له»، والعنصر الأساسي في الإنقاذ، والشريك في صياغة القرار وممثل السنّة الأعلى في الدولة.

إذاً، تتوافر عناصر التأليف السريع، تتقدّمها رغبة الحريري في ذلك. وإذا ما تقاطعت الأسباب المذكورة، فستكون التصريحات عن حكومة اختصاصيين، مجرد «رشّة ملح» لإعطائها نكهة مختلفة. أما في الكواليس، حيث تُخاط الحكومة، فيمكن الاتفاق على واحدة شبيهة بحكومة دياب تضمّ اختصاصيّين تسميهم الأحزاب، ليبقى الاتفاق على البرنامج هو الأساس، ولا سيما في ما يتعلق بالتعامل مع صندوق النقد الدولي وشروطه. طبعاً، لن يكون للحريري ما يريده من تفويض مطلق، لكن الباب ليس مقفلاً أمام النقاش... «بعض النقاط سيكون الاتفاق عليها شرطاً للتأليف. فيما البعض الآخر سيُرحَل الى مجلس النواب ويجري تشريحه في الهيئة العامة» كما تقول أوساط مطّلعة.

المشهد السياسي

مشاورات التأليف: أين الانهيار الاقتصادي؟

غلبت «الإيجابية» على الاستشارات النيابية غير المُلزمة لتأليف الحكومة. بعد أسابيع من المُناوشات بين القوى السياسية، ولا سيّما على جبهة التيار الوطني الحرّ - تيار المستقبل، فجأةً، الجميع يُريد «التوافق»... حول تقسيم الحُصص داخل الحكومة. فيما الأساس يكمن في إعلان كلّ فريق حقيقة موقفه من الإصلاحات المالية - النقدية: هل سيُضحّى مرّة جديدة بمصالح المواطنين والأموال العامة لحساب أصحاب المصارف وحلفائهم السياسيين؟

أمّا وقد انتهت مرحلة التكليف، مع ما يُرافقها من مُشاورات نيابية غير مُلزمة لتَعرض الكُتل النيابية طلباتها في السوق، يُمكن العودة إلى النقطة الأساس في كلّ الحديث عن تأليف الحكومة الجديدة. الموقف المُطالبة به الكُتل النيابية الوازنة، ليس نزاعها حول «حصّتنا وحصّتهم» و«حقوق الطائفة» وغيره من العناوين التي لا تؤدّي سوى إلى السباحة في البُحيرة المُوحلة نفسها. فـ«القيمة» الحقيقية لكلّ النقاش تكمن في عَرض الكُتل صراحةً لبرامجها الاقتصادية - المالية، وكيف ستُقاتل لفرضها، إن كانت تُريد فعلاً إيجاد حلّ مُستدام، قوامه وضع استراتيجية حماية اجتماعية - اقتصادية، تُوفّر الأمان لكلّ الفئات المُتضرّرة من الانهيار، والبحث ليس فقط عن تعويم الاقتصاد، بل كيفية إعادة تحريك النموّ عبر رفد القدرات الاستهلاكية للمواطنين. كيف ستتعامل الحكومة الجديدة، برئاسة سعد الحريري، مع خيار صندوق النقد؟ وهل ستُمزّق خطّة التعافي المالي التي أقرّتها حكومة الرئيس حسّان دياب؟ في السنة المُنصرمة، قامت لأوّل مرّة حكومة لبنانية بتحديد المسؤوليات في الأزمة المالية والنقدية. عرضت الخسائر وأسبابها، ولا سيّما في القطاع المصرفي، مُقترحةً حلاً لكيفية تسديدها. في الخطّة «إيجابيات» يُبنى عليها، ولو أنّها تضمّنت «فخاخاً» عدّة، تُوجز بالـ«صندوقين»: برنامج مع صندوق النقد الدولي غير مضبوط، وإنشاء الصندوق السيادي لتشغيل أملاك الدولة وعقاراتها لتسديد جُزء من الخسائر. وعلى الرغم من مُشاركة كلّ «الحاضنة السياسية» لحكومة دياب، في وضع الخطّة، إلا أنّها عادت وضُربت من «بيت أبيها». قوى مثل حركة أمل وتيار المستقبل والحزب التقدمي الاشتراكي، تُسقط «خطة التعافي المالي» من حساباتها، وكأنّها لم تكن. قوى أخرى، سمحت لبعض النافذين داخلها بأن يكونوا مطيّة لإسقاط الخطة، وتحديداً التيار الوطني الحرّ عبر النائب ابراهيم كنعان، الذي مثّل «خير حريص» على مصالح المصرف المركزي والمصارف التجارية في وجه مصالح المودعين واللبنانيين، مُشرّعاً أمامهم مجلس النواب، علماً بأنّه بعد فترة، عاد رئيس «التيار»، جبران باسيل لـ«يكتشف» خطأ إسقاط الخطة الحكومية من دون وُجود بديل لها. وبين الاثنَين، يوجد فريق ثالث يُمثّله حزب الله. الأخير لم يُدافع علناً عن «التعافي المالي»، لكنّه عبر مُمثّله في لجنة «تقصّي الحقائق» النيابية، النائب علي فيّاض، كان الوحيد الذي دافع عن أرقام الخسائر الواردة فيها. بعد سنة من دفع البلد أكثر فأكثر نحو الانهيار، عبر رفض الخطّة وإقرار مشاريع القوانين المُرتبطة بها، ثمة فريقان فقط يُظهران «إيجابية» تجاهها: حزب الله والتيار الوطني الحرّ. التحدّي الرئيسي في الأيام المُقبلة يكمن في هذا الشقّ: ما هو المشروع الاقتصادي - المالي - النقدي؟ كيف ستُحدّد الخسائر؟ من سيلتزم تعويضَها؟ هل ستُستخدم الممتلكات العامة؟ كيف ستُحمى الفئات الاجتماعية؟ تحديد الموقف من هذه المسائل ليس «ترفاً»، فالبلاد أمام مُعضلة، وحلّها لا يتمّ عبر «فدائها» بحصّة من هنا، و«تعاون» من هناك.

ما يُعقّد الأمور أكثر، أنّه في ظلّ موازين القوى الحالية، يوجد صعوبة - أو شبه استحالة - للإتيان بحلّ ثالث، ما يضع البلاد أمام خيارَين فقط. الأول، عُبّر عنه بـ«خطة المصارف» التي وُجدت من يُهلّل لها في مجلس النواب، وفكرتها الرئيسية هي سلب أملاك الدولة ومؤسساتها، ووضعها في صندوق لاستخدامها في تغطية خسائر أصحاب المصارف. وليس تعويض أموال المودعين التي حوّل أصحاب المصارف جزءاً منها إلى أرباح لهم وبدّد مصرف لبنان جزءاً آخر منها - والسطو على جزء منها. هدف المصارف من ذلك، عدم استخدام أموالها الخاصة في إطفاء الخسائر، وعدم الدفع من الفوائد والأرباح التي جنتها لعشرات السنوات

> **حزب الله: لكلّ وزير حقيبة، وإلا حكومة من نحو 24 وزيراً**

من الأموال العامة. والخيار الثاني هو الاتفاق على خطة مع صندوق النقد تكون مبنية على خطة «التعافي المالي» التي حدّدت الخسائر والمسؤولين عنها، وتحميل المُساهمين في المصارف مسؤولية تعويضها. لا يسلم هذا الخيار من السيئات أيضاً، ليس في ما خصّ اشتراط صندوق النقد تحرير سعر الصرف، فهو أصلاً مُحرّر حالياً، بل في إنشاء صندوق سيادي توضع فيه الأملاك العامة، والخصخصة، وفرض ضرائب على الاستهلاك. كلّ هذه السيئات تتضمّنها ورقة سعد الحريري التي قدّمها في تشرين الأول 2019، ووافقت عليها غالبية الكتل النيابية. الخطر يكمن في إعادة تعويمها بحُجج مختلفة. للمُفارقة، أنّ الجميع يتحدّث عن أهمية الاتفاق مع صندوق النقد الدولي على قاعدة أنّه «فاتحة» الدولارات التي ستتدفق إلى البلد، ولكن تيار المستقبل - حركة أمل - التقدمي الاشتراكي - «جناح» داخل التيار الوطني الحرّ، يُدركون أنّ الجهات المانحة لن توافق على خطة إلا وفق الأرقام التي تضمنتها ورقة «التعافي المالي»، فكيف سيُوفقون بين مصالحهم وطلبات رُعاتهم الماليين، وبين «المجتمع الدولي»؟

النقاشات في المجلس النيابي أمس لم تصل إلى هذه المسائل، رغم أولوياتها، بل كانت مُناسبةً للتبريكات، والتأكيد على «الإيجابية في التعاطي»، تبقى عبرتها في مفاوضات التشكيل. الأبرز كان لقاء كلّ من الحريري - باسيل مع وفد تكتّل «لبنان القوي»، بعد «المقاطعة» بينهما. فأعلن باسيل أنّهم «إيجابيون إلى أقصى الحدود، ويهمّنا تشكيل حكومة في أسرع وقت ممكن لتقوم بمهمة الإصلاحات المطلوبة. لدينا خوف أساسي بأن تتمكّن الحكومة من تنفيذ البرنامج الإصلاحي المُتّفق عليه، والوارد في المبادرة الفرنسية، ويبدأ بتنفيذ التحقيق الجنائي، باعتماد قانون لضبط التحويلات المالية، وبإجراءات فاعلة بمحاربة الفساد». بحسب باسيل، «لا نطرح أي مطلب أو شرط سوى أن تكون هناك معايير واضحة وواحدة محددة وموحدة ككل الأطراف وكل المكونات. نحن نطالب بأن تكون حكومة تكنوسياسية. سننتظر الأمر الذي سيعتمده الحريري بالاتفاق مع الرئيس ميشال عون حتى نقرر كيفية تعاطينا مع عملية التشكيل، دائماً بإيجابية كبيرة وتعاون».

أما كُتلة «الوفاء للمقاومة»، فقد أعلن رئيسها النائب محمد رعد، أنّه «نصحنا بأن يكون لكلّ وزير حقيبة، وإلا نذهب إلى حكومة مُصغّرة... وأكّدنا أولويات تتعلّق بالمرحلة وخصوصاً بعد ارتفاع أعداد الإصابات بكورونا، في الوقت الذي ينبغي أن يُعزّز القطاع الصحي». وبعد انتهاء الاستشارات، أعلن الحريري أنّ الحكومة «ستكون حكومة اختصاصيين، لكي نقوم بالعمل السريع بحسب الورقة الإصلاحية الفرنسية وعلى أساس برنامج مع صندوق النقد»، مُقترحاً «أن نُحيّد كلّ اختلافاتنا السياسية ونكون إيجابيين لكي نستعيد الثقة بين المواطن والدولة أو بين الدولة والمجتمع الدولي».

(الأخبار)

الحريري: لنُحيّد كلّ اختلافاتنا السياسية ولنكن إيجابيين (هيثم الموسوي)

تقرير

مصرف لبنان يتراجع: السيولة مؤمّنة للمستشفيات؟

رأجانا حميّة

لم يكد تعميم مصرف لبنان الرقم 573 يسلك طريقه نحو التنفيذ، حتى كان في مرمى نيران مؤسسات القطاع الطبي. أمس، كانت ردّة الفعل الأولى التي قامت بها خمس مؤسسات استشفائية جامعية، فأصدرت بياناً مجلجلاً، معلنة فيه اعتذارها عن عدم استقبال المرضى لعدم قدرتها على متابعة توفير الخدمات الطبية العلاجية كما الجراحية في الفترة المقبلة.

رفعت المستشفيات الجامعية الأكبر سقف مواجهتها مع الدولة، وردّت على التعميم بضربة قاضية: حرمان المرضى من حقهم بالعلاج، وقد بدأت فعلياً بذلك مع إلغاء عدد من العمليات التي كانت محددة، وهو ما أعلنه نقيب أصحاب المستشفيات الخاصة، سليمان هارون. لذلك، لم يكن أمام الدولة، ممثلة بمصرف لبنان، وهو صاحب التعميم، سوى تقديم بعض التنازلات في محاولة لامتصاص الغضب. فبعد الإعلان بساعات، أصدر مصرف لبنان بياناً طمأن فيه المستشفيات إلى أن الأوراق النقدية - التي يفرضها التعميم - مؤمّنة للمستشفيات، على أن «تقوم المصارف المعنية بذلك» لتسديد كلفة المستلزمات الطبية المطلوبة. ولفت إلى أن هذا القرار هو نتيجة اتفاق في ما بينه وجمعية المصارف، انطلاقاً من الحرص «على تقديم الخدمات التي يحتاجها اللبنانيون»، وهي الخدمات التي «لا ضرورة لأي تردد في سبيل تأمينها»! ومع إعلان المركزي عن نص الاتفاق، أصدرت جمعية المصارف بياناً أعادت التأكيد فيه على مضمون ما ورد في البيان «المركزي»، مشيرة إلى أن «جمعية المصارف على استعداد لتوفير السيولة النقدية بالليرة اللبنانية للمستشفيات مقابل الشيكات والبطاقات المصرفية».

لكن، برغم هذين البيانين، لا يبدو أن الصورة باتت أكثر وضوحاً لدى المستشفيات، إذ إن الهاجس اليوم بالنسبة إليهم «كيف سيترجم كل هذا؟»، على ما يقول هارون. فبحسب الأخير، لا رأي للمستشفيات بما صدر «لأنو ما فينا نقول فول ليصير بالمكيول». خوف هؤلاء هو من الآلية التي ستتبعها المصارف في تأمين تلك السيولة، فهل هذا يعني أن «باستطاعة المستوردين أن يقبضوا الشيكات التي نودعها في المصرف نقداً؟ أم أنه يتوجّب علينا أن نذهب نحن إلى المصرف ونسحب النقد لنعطيه للمستلزمات؟». لا جواب واضحاً، ولكن من الآن، يقول هارون، إنه إذا كان المطلوب هو «أن نسحب نحن النقد، فهذا يعني أنهم لم يفعلوا شيئاً». مع ذلك «نحن ننتظر لنحكم على النوايا».

من جهتها، اعتبرت نقابة مستوردي المستلزمات الطبية أن مضمون البيانات الصادرة «غير مفهوم»، على ما تقول النقيبة سلمى عاصي. ولئن كانت هذه النقابة غير معنية بالقرار مباشرة، إلا أنها معنية به بالطريقة غير المباشرة، إذ تنتظر اليوم رد فعل المستشفيات قبل أن تبني على الشيء مقتضاه. مع ذلك، تبدي عاصي رأياً في ما صدر، مستغربةً الطريقة التي يلمّح فيها البيان إلى إمكان أن «تقوم المستشفيات بسحب الأموال النقدية وأن تعمل على نقلها بالسيارات، وما يعنيه هذا من خطر، ومن ثم تعطينا إياه لنضعه مجدداً في البنك»! فإن كان المقصود هذه الآلية، تسأل عاضي «فما الذي فعله مصرف لبنان إذاً؟».

إلى الآن، لا أصحاب المستشفيات ولا مستوردو المستلزمات يفهمون ما الذي يحمله بيان المركزي، وهم لذلك ينتظرون الجواب الصحيح حول الآلية قبل انتهاء مهلة الـ 48 ساعة. فإما أنها تؤكد استثناء القطاع الصحي من التعميم، وإما فالخطوة القادمة لا مفرّ منها. هذا ما يقوله الطرفان.

في الواجهة

في الثلث الثالث لم يعد يتبقّى إلا الصلاحيات

عودة الرئيس سعد الحريري مفرحة له، مقدار ما ستكون مؤلمة لقصر بعبدا. اعتاد الرجل التكليف فالاعتذار عنه، والترشح فالتراجع عنه، فالعودة إليه، والخروج من الحكم رغم إرادته. أضحى حلاً وحيداً ما إن هبط عليه - بحسب عبارة قديمة للرئيس الياس هراوي - «الروح القدس»

نقولا ناصيف

ليست المرة الأولى يُسمّى رئيس للجمهورية رئيساً مكلفاً تأليف الحكومة لم يُرده وضد مشيئته، وإن لم يكن هو صاحب قرار التسمية. قبل الرئيس ميشال عون، حدث ذلك مع الرئيس إميل لحود عندما أرغمته الغالبية النيابية الجديدة عام 2005 على التسليم بتكليف الرئيس فؤاد السنيورة تأليف حكومة ما بعد الحقبة السورية. كان - كعون - في الثلث الثالث من ولايته الثانية. المألوف أن العضد الأول للتكليف هو رئيس الجمهورية، السبّاق إلى اختيار الشخصية التي يرغب في التعاون معها، فتجاريه الغالبية النيابية وتقترع له. في الإمكان العثور على استثناءات في مرحلة ما قبل اتفاق الطائف أكثر منها ما بعد تطبيقه. لم تكن لدى أي من أسلاف الرئيس الحالي كتلة نيابية موالية له، أو منبثقة من حزبه كي تضطلع بدور إضافي مكمّل.

> **سوء حظّ الولاية من ثلاثة: الطبقة المرتكبة والمعاونون الانتهازيون والطبيعة**

المألوف أيضاً أن يبادر رئيس الجمهورية إلى عرقلة تكليف مَن لم يُرده على رأس حكومة جديدة، على غرار ما فعل لحود مرتين على التوالي عامَي 1998 و2004 بإبعاد الرئيس رفيق الحريري عن السرايا، باستفزازه أو تقديم ذرائع لا يسعه إلا الاستسلام لها. ثمة ما عُرف أيضاً بحال ثالثة لم تتكرّر، هي مناورة رئيس الجمهورية من أجل حمل رئيس الحكومة على الاستقالة، كما لو أنها تُفرض عليه.

ليست المرة الاولى يُكلف رئيس تأليف الحكومة ضد إرادة رئيس الجمهورية (هيثم الموسوي)

حصل ذلك عام 1992 بسقوط الرئيس عمر كرامي ضحية لعبة شارك فيها الرئيس الياس هراوي ومسؤولون سوريون واختبأ وراءها الحريري الأب في ما عُرف بـ«ثورة الدوالیب» حينذاك وانهيار الليرة، توطئة لإيصال الحريري إلى السرايا. بيد أن دمشق تحوّطت لهذا الخيار، باستباقه بإجراء انتخابات نيابية عامة بغية تقييد الحريري سلفاً.

على مرّ السوابق تلك، كان لرئيس الجمهورية دور رئيسي في اختيار الرئيس المكلف، أو تزكيته إذا قررته سوريا (ما بين عامَي 1990 و2005)، وكانت الغالبية النيابية تنصاع لإرادتهما. ذلك ما عناه درس أن لا رئيس للجمهورية أجبر على مساكنة رئيس للحكومة لا يريده أو ينفر منه، ما خلا السابقة الوحيدة وهي حكومة السنيورة عام 2005. بيد أن الظروف التي أملت ما حدث وقتذاك كانت دونما شكّ استثنائية، وليست حتماً ثمرة تحوّل ديمقراطي، أو من صنع النظام نفسه: اغتيال الحريري الأب وخروج سوريا نهائياً من لبنان وانهيار الغالبية الموالية لدمشق في الحكومة والبرلمان والأجهزة الأمنية. بالتأكيد لم يرحب لحود بعودة الحريري إلى الحكم عام 2000 بعد فوزه الساحق في انتخابات ذلك العام، وهو الذي أخرجه منه، إلا أن تسليمه بنتائج الانتخابات تلك لا مناص منه.

ما حدث مع عون، بالوصول إلى تكليف الرئيس سعد الحريري، لا يشبه أياً من الحالات تلك. في الثلث الثالث من ولايته، بدا الرئيس يفقد كل مقوّمات القوة التي باشر عهده بها. لم يكن قليل الأهمية أن انتخابه رئيساً عارضه رئيس البرلمان نبيه برّي وكتلته، وذلك نادر في الاستحقاقات الرئاسية التي اعتادت أن يكون رئيس المجلس عرّاب انتخاب رئيس الدولة، فإذا جلسة 31 تشرين الأول 2016 تتطلّب ما لم يحدث قبلاً، وهو أربع دورات اقتراع. تسلّح عون بعناصر قوة مضادة هي وقوف حزب الله والحريري الابن إلى جانبه، ناهيك بكتلة نيابية أقل من كتلته الموالية الحالية. مع ذلك نجح في أن يكون رئيساً قوياً في الثلث الأول حتى ما بعد انتخابات 2018، مذّاك بدأ مسلسل الانهيار.

في مطلع الثلث الثالث بعد أيام قليلة، الرئيس بلا حلفاء تقريباً إلا أهل البيت، وبينهم المخلص والانتهازي والمتهوّر والمالق والكاذب والمكابر. أما الباقون، فلا يعدو دورهم إلا إمرار الثلث الثالث: برّي متعاون لأن لا غنى عن دوره والحاجة إليه. حزب الله يوازن بينه والفريق السنّي بلا تغليب الكفة. القوات اللبنانية في مقلب آخر مناوئ. وليد جنبلاط يظلّل نفسه، فلا يسعه أن يعثر في عون الرئيس إلا على عون الجنرال، وكان من أعتى الذين قاتلوه في سني الحرب بدءاً بعام 1983 وانتهاءً بعام 1989. ولذا يكاد يكون الوحيد الذي لا يشبه سواه. يغالي في العداء مثل مغالاته في المصالحة والانحناء. أما الحريري ومن ورائه السنّة، فالمشكلة أكثر وقعاً. في تاريخ أسلافه، لا رئيس لم يحالف زعيماً سنّياً وبخاصم زعيماً آخر، بما في ذلك بعد اتفاق الطائف على نحو معادلة الحريري الأب والرئيس سليم الحص. كذلك في المذاهب الأخرى. بين عون والحريري إما تحالف أو عداء بلا أي بديل، أو ربما العثور على هذا لا يستحق العناء.

ليس منطقياً القول بأن العهد انتهى قبل أن يصل إلى نهايته، فلم يصمد سوى في ثلثه الأول. بل يكاد لا يكون وحده يختبر واقعاً كهذا: بدأ سقوط عهد الرئيس كميل شمعون في الثلث الثالث (1956 - 1958) بمقدمات الحرب الأهلية الصغيرة ثم انفجارها، والرئيس شارل حلو في الثلث الثالث (1968 - 1970) مع مقدمات اتفاق القاهرة، والرئيس سليمان فرنجية في الثلث الثالث (1975 - 1976) باشتعال حرب السنتين، والرئيس الياس سركيس - مع أن كل سني الولاية مستعرة - في الثلث الثالث (1980 - 1982) تحضيراً للوصول إلى الاجتياح الإسرائيلي. أقسى التجارب مع الرئيس أمين الجميّل، بأن حافظ على قوة العهد طوال الثلث الأول من الولاية فقط.

بعد اتفاق الطائف، حقبتان مختلفتان لعهود ثلاثة رؤساء متعاقبين: أولى ما بين عامَي 1989 و2007: بفضل وجود سوريا في لبنان، أنهى هراوي ولاية السنوات التسع أقوى مما كان عند انتخابه. وبفضل خروجها من لبنان، أنهى لحود ولاية السنوات التسع أضعف بكثير مما كان يوم أقسم اليمين الدستورية عندما لوّح بقطع يد السارق. أما الحقبة الثانية ما بين عامَي 2008 و2014، فلا يسع أي أحد مع الرئيس ميشال سليمان، التوافقي، أن يعرف متى بدأ الثلث الأول ومتى انتهى الثلث الثالث. إبان ولايته، بفضل اتفاق الدوحة، لم يعد ثمة رئيس للجمهورية أو رئيس للحكومة، بل موازين قوى متجاذبة في الشارع، وعلى سطح النزاع السنّي - الشيعي يصنعان قرارات السلطات.

ربما من سوء حظ الرئيس وسوء حظ الولاية، أن الطبيعة مرة، والطبقة السياسية المتواطئة الفاسدة والمرتكبة مرة أخرى، والأخطاء الجسيمة المتهوّرة التي ارتكبها الانتهازيون والباحثون عن أدوار وذوو الرؤوس المنفوخة بين معاونيه مرة ثالثة، قادوا عون إلى أن يجبه أصعب أثلاث الولاية الذي هو آخرها، كما أسلافه.

لعل ما يُفرّق الثلث الأول عن الثلث الثالث في تجارب الرؤساء المتعاقبين، طبعاً باستثناء الاستثناء الذي هو الرئيس فؤاد شهاب، أنهم حكموا في الثلث الأول بالدور والصلاحيات الدستورية، ولم يعودوا يملكون في الثلث الثالث كي يحكموا سوى التشبّث بالصلاحيات. آخر ما يتبقّى.

تقرير

تأسيس «الشيوعي»: المواجهة المفتوحة

إنّها الذكرى الـ 96 لتأسيس الحزب الشيوعي اللبناني، يحتفل بها من خلال تنظيم مسيرة شعبية تنطلق من صيدلية بسترس الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم، إلى ساحة رياض الصلح... «إنّها المسيرة التي يُعاهد فيها الحزب، الشعب اللبناني وجمهور الانتفاضة الشعبية وكلّ قوى التغيير الديموقراطي، على مواصلة النضال». وقد أصدر المكتب السياسي لـ«الشيوعي» بياناً في الذكرى، ربط فيه بينها وبين الأوضاع في المنطقة ولبنان، «ها هو الأميركي يضغط اليوم من الخارج، ومنظومته السلطوية الفاسدة التابعة له تخضع في الداخل، بترسيم الحدود وبالاستجابة لشروط صندوق النقد الدولي ورفع الدعم...»، جاء في البيان، مُضيفاً إنّه «تحلّ الذكرى هذا العام متلازمة مع مرور سنة على انتفاضة شعبنا المستمرة. سنة كانت عنواناً لأسوأ انهيار اقتصادي - مالي في التاريخ المعاصر لشعوب العالم، انعكس انهياراً اجتماعياً جثم بثقله فوق صدور اللبنانيين، مهدّداً حياتهم ومستقبلهم... سنة أكّد فيها الشعب اللبناني رفضه للسياسات المُتّبعة منذ التسعينيات حتّى اليوم، مُحمّلاً إياها ما آلت إليه حالة البلد». وتحدّث البيان عن «منظومة حاكمة متسلّطة ومستبدّة، تعاود رسم الخريطة عينها، من خلال إعادة لمّ شملها بدعم من الأوصياء، فتُكلّف الرئيس سعد الحريري بتأليف الحكومة العتيدة على أساس المحاصصة». انطلاقاً من هنا، أعلنها «الشيوعي» المواجهة المفتوحة «على غير صعيد ضدّ منظومة التفريط بالثروات الوطنية والنهب والاستغلال الطبقي، منظومة الإفقار والتهجير، منظومة القمع والتخوين والترهيب، منظومة التبعيّة للخارج والانصياع للشروط والضغوط الأميركية في المنطقة».

(الأخبار)

تقرير

حملة جورج عبد الله: للاعتصام أمام السفارة الفرنسيّة

لمناسبة انقضاء 36 عاماً على أسر المُناضل جورج إبراهيم عبد الله، دعت «الحملة الوطنية» لتحريره إلى اعتصام أمام السفارة الفرنسية في بيروت عند الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر اليوم. الاعتصام في لبنان يتزامن مع اعتصام آخر سيُنفّذ أمام مُعتقل عبد الله في فرنسا، سجن «لانميزان». المناسبة باتت سنوية، بعدما بات المُقاوم الأممي أسيراً لدى الدولة الفرنسية. هو حُكم بالسجن المؤبّد سنة 1987. ومنذ الـ 1999 استوفى شروط قانون العقوبات الفرنسي المطلوبة للإفراج عنه. ومنذ عام 2003، يُعرقل الإفراج عنه بأوامر أميركية - إسرائيلية. ظلم قد لا يكفي في مواجهته اعتصام أو تظاهرة، لكنّه «الحلّ الوحيد» المتاح لأهله وأصدقائه ورفاقه لعدم «إطفاء» قضيته، وإبقائها حيّة، علّ دولته تُعيد تجديد الضغوط لتحريره.

(الأخبار)

تقرير

النفايات تتكدّس: ننتظر الأمر من وزارة الماليّة!

رحيل دندش

مرة جديدة، تتكدّس النفايات على جوانب الطرقات في أقضية بعبدا والشوف وعاليه. تظهر أكثر وضوحاً في الضاحية الجنوبية لبيروت، نتيجة كمية النفايات الهائلة. ومرة أخرى، منذ تموز الماضي، تجتمع شركة جمع النفايات «سيتي بلو» مع حاكم مصرف لبنان لإيجاد حل لدفع مستحقات الشركة، فيما الحال هو الحال. وينتظر أن تتوقف شركة «رامكو» الأسبوع المقبل هي الأخرى عن جمع النفايات من بيروت العاصمة والمتن وكسروان للسبب عينه وهو عدم دفع الدولة مستحقات الشركتين. كل هذا يأتي على أبواب الشتاء وفي عزّ استفحال أزمة تفشّي وباء كورونا ليزيد تكدس النفايات بما يرتّبه من آثار صحية وبيئية على واقع اللبنانيين المأساوي مأساوية.

رئيس مجلس إدارة «سيتي بلو» ميلاد معوّض قال لـ«الأخبار»، عقب الاجتماع الذي جرى أمس مع حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، «إن الحاكم إيجابي في هذا الشأن ولا عرقلة من عنده». وينقل عنه أن «لا مانع لديه أن يُقرض الدولة دولارات في هذا الملف»، واضعاً المسؤولية عند وزارة المالية التي تعطيه الأمر حالياً بأن يدفع مستحقات الشركات باللیرة اللبنانية. لكن سلامة كان واضحاً مع شركة «سيتي بلو»: «إذا قال لكم أحدهم إنني لا أقرض بالدولار، فأنا أقول إنني أقرض بالدولار».

تعود مشكلة تكدس النفايات إذاً إلى تراكم مستحقات شركات جمع النفايات ومعظمها بالدولار الأميركي. بالإضافة إلى توقف التسهيلات المالية عبر البنوك، وأخيراً المشكلة النقدية التي على أساسها ما عادت الشركة قادرة على دفع رواتب العمال وأغلبهم من اللبنانيين بعد ترحيل ما يقارب من 400 عامل أجنبي، كما الحاجة إلى شراء المحروقات وقطع الغيار، وهو ما جعلها، بحسب زعم إدارتها، في حال من العجز عن الاستمرار في عملها. يوضح معوض أنه يوم «أخذنا المناقصة (قبل 3 سنوات) كانت المناقصة بالدولار، وكل الديون المترتبة على الشركة بالدولار، إضافة إلى تعاقدنا مع شركات أجنبية، وكل ذلك يستلزم مصاريف بالدولار الكاش». اليوم «نطالب الدولة أقله بدفع مستحقات الشركة بالدولار المحلي، لنتمكن من سداد الديون، علماً بأن البنوك لا تقبض ديون الشركة باللیرة اللبنانية لأنها بالدولار، وهذا بدوره حال دون إقراضهم». الهمّ الحالي بالنسبة إلى «سيتي بلو» أن «تستطيع سداد ديونها، أما الباقي فقد نتدبّر أمره ونحمل قدر ما نستطيع».

تحاول الشركات اليوم أن تعقد جلسة مع وزارة المالية، لكن بغير تفاؤل: «أتصور أن وزارة المالية لن تقول لحاكم مصرف لبنان أن يدفع بالدولار». لكن ما العمل؟ «الحل عند الدولة لا عندنا، وطالما لا يوجد حل لا يمكننا العمل». والجدير بالذكر أن الأكلاف المستحقة لشركة «سيتي بلو» تتراوح شهرياً بين مليون 800 ألف دولار ومليوني دولار. كما أن لدى الشركة مستحقات مع الدولة بقيمة 16 مليون دولار نتيجة أعمال العام الجاري.

في هذا الوقت، باشر اتحاد بلديات الضاحية الجنوبية رفع النفايات عن الطرقات. وقد جهز لهذه المهمة فرقاً ترفع الركام المتكدس على نفقة الاتحاد والبلديات التي تعاني هي الأخرى من عدم دفع الدولة لمستحقاتها المتراكمة في وزارة المالية منذ عام 2018.

رغم ذلك، فإن رئيس اتحاد بلديات الضاحية الجنوبية محمد درغام أكد أن البلديات لا تستطيع أن تحل مكان الشركة ولا أن تمضي في هذا الملف طويلاً نظراً إلى كلفته العالية، وهو يفوق طاقة الاتحاد والبلديات معاً. ولفت إلى أن ثمة 5 مناطق عشوائية في الضاحية «ترمي يومياً نحو 150 طناً ولا تجبي منها البلديات رسوماً». لكن المشكلة ليست هنا وحسب، إذ «كيف سيكون الحال عندما لا يبقى مطمر بعدما شارف الكوستا برافا على بلوغ طاقته الاستيعابية القصوى؟».

> **درغام: وزارة المالية عقبة، ومصرف لبنان عقبة، ووزارة البيئة عقبة، وكل مسؤول يرمي المسؤولية على الآخر**

مع العلم بأن الاتحاد ومعه بلدية الشويفات أقفلا تحذيرياً مطمر الكوستا برافا في تموز الماضي، فتوقف عن استقبال نفايات الشوف وعاليه وقرى بعيدا وجزء من مدينة بيروت لأنه إذا استمر في طمرها فسيمتلئ عن آخره خلال أشهر، فيما صمّم ليكون مؤقتاً وليستقبل نفايات بلديات الضاحية والشويفات حصراً. تراكم الأزمات وانفجار المرفأ واستقالة الحكومة حالت دون إغلاق المطمر، لأن الأمور تعقّدت كثيراً و«الضرب في الميت حرام»، يقول درغام، مضيفاً: «غير أن ما سبق لا يمنع أننا سنكون أمام كارثة محققة ومحتومة في القريب العاجل». من وجهة نظر درغام، ليست العقبة فقط عند وزارة المالية، «فهي عقبة وحاكم مصرف لبنان عقبة ووزير البيئة عقبة، لكن كل مسؤول يرمي المسؤولية على الآخر، وهم لا يجتمعون معاً لإيجاد الحل».

(مروان طحطح)

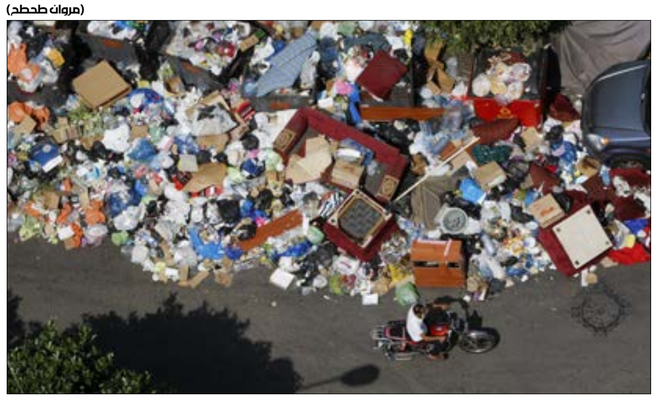

كورونا

عدّاد كورونا إلى 36 ألفاً: الخوف من الموجة الآتية من الخارج

1534 إصابة و7 وفيات سجّلها عدّاد كورونا، أمس، ضارباً رقماً قياسياً جديداً. بهذا الرقم، يرتفع العدد الإجمالي للإصابات إلى 36 ألفاً و76 إصابة، منها 242 إصابة في الدائرة «الحرجة». عملياً، لم يتغيّر شكل العدّاد منذ نحو شهر تقريباً، لناحية ثباته فوق عتبة الألف إصابة يومياً. أما على أرض الواقع، فالأمور لا تبشّر بالخير، وخصوصاً لناحية الزيادة في أعداد الحالات التي تستوجب عناية فائقة والتي كان عددها أمس بحدود 242 حالة. والرقم مرشح للارتفاع أكثر، على ما يؤكد المدير العام لمستشفى بيروت الحكومي، فراس أبيض.

يحدث ذلك في الوقت الذي تُفقد فيه، يوماً بعد آخر، الآمال المعلّقة على السكان، كما الدولة. فبالنسبة إلى الناس، باتت الكورونا لدى كثيرين منهم «مزحة»، على عكس حملات التوعية التي تقام، والدليل؟ التفلت الواضح من الإجراءات الوقائية والتي لم تفعل معها محاضر الضبط شيئاً. فحتى في البلدات التي تخضع اليوم للإقفال التام، الحال ليس بأفضل من المناطق غير الخاضعة للحجر، حيث تبلغ نسبة الالتزام في أحسن أحوالها الـ 70%، على ما تؤكد وزارة الصحة العامة. أما بالنسبة إلى الدولة، فيبدو أنها عاجزة عن تنظيم استراتيجية أخرى، تجنّباً للآثار الاقتصادية السلبية للإغلاق. وبسبب هذا العجز، من الطبيعي أن تكون لتلك الاستراتيجية «شروط وأثمان»، على ما يقول أبيض، وخصوصاً لناحية استمرار ارتفاع أعداد المصابين بالفيروس. أما الأخطر في تلك الأثمان، فهي تلك التي تتمظهر في مؤشرين أساسيين: عدد المرضى في العناية المركّزة وعدد الضحايا من جهة أخرى. فهذان المؤشران، بحسب أبيض «دليلان واضحان على زيادة تفشي الوباء». ثمة خطر إضافي، بحسب أبيض، لا يقل أهمية، وهو الخطر الآتي من الخارج، مع زيادة أعداد الوافدين المصابين بالفيروس في الآونة الأخيرة، «فمن الواضح أن هناك موجة كبيرة من العدوى قد تصل إلى لبنان». من هنا، كانت دعوة أبيض «للتشدد في الإجراءات على الحدود وفي المجتمع وإعادة إطلاق حملات التوعية وزيادة أعداد وفعالية الترصّد والفحص المبكر، إضافة إلى زيادة أعداد الأسرّة في المستشفيات».

مع ذلك، يحلو لوزير الصحة العامة، حمد حسن، التفاؤل، مشيراً إلى «أننا اليوم لم نقطع الأمل، فنحن وفيروس كورونا نسير معاً، ولكن لن نجعله يسبقنا». من هنا، ولاستدراك هذا الأمر، كرّر حسن طلبه من المستشفيات الخاصة «في كلّ المناطق اللبنانية أن تواجه معنا».

وفي سياق التفاؤل أيضاً، أعلن حسن تحويل 4 ملايين و367 ألف دولار أميركي من أموال وزارة الصحة العامة الموجودة في صندوق «اليونيسيف» إلى صندوق «كوفاكس» والتي من المفترض «أن تؤمن لنا 20% من ثمن لقاح كورونا المنتظر».

(الأخبار)

تحقيق

«نجح» قانون تشريع زراعة القنّب الهندي في زيادة إنتاج الحشيشة! بعد مواسم من الكساد وتراجع الأسعار، سُجّل هذا الموسم ارتفاع كبير في الأسعار، وزادت مساحة الحقول المزروعة بالنبتة التي لم تعد محرّمة (؟)، والتي يتهافت التجار على شراء محاصيلها، بعدما «الله جبر» ما كان مكدّساً من محاصيل السنوات الماضية

(رامح حمية)

الأراضي المزروعة زادت من 20 ألف دونم إلى أكثر من 30 ألفاً

التشريع «ينجح» الطلب على الحشيشة يفوق العرض!

رامح حمية

قبل نحو أسبوع بدأ مزارعو الحشيشة في البقاع الشمالي قصّ شتول حقولهم وجمعها وتجفيفها تحت أشعة الشمس، قبل توضيبها وتخزينها تمهيداً لتصنيعها. وهذه المرة الأولى التي تُقصّ فيها الحشيشة بتأنٍّ، مع غياب الخشية من عمليات التلف، رغم أن آخر عملية نفّذتها الأجهزة الأمنية لإتلاف حقول الحشيشة في بعلبك - الهرمل تعود إلى عام 2013.

مصدر «الاطمئنان الزائد» هو إقرار مجلس النواب، في نيسان الماضي، قانون السماح بزراعة القنب الهندي «لأغراض طبية وصناعية». صحيح أن القانون بات نافذاً، إلا أن الدولة لم تمض في خطة «الشرعنة» بعد. المراسيم التنظيمية للقانون لم تُقرّ بعد، فلا هيئة ناظمة ولا آلية عمل ولا حتى مراكز تسليم أو بنية تحتية أو آلية استصدار تراخيص ومنحها للمزارعين المسموح لهم بزراعتها. رغم ذلك، مجرد الإقرار - على ما يبدو - كان إشارة ضمنية تلقّاها مزارعو الحشيشة بحماسة تُرجمت بزيادة مساحة الأراضي المزروعة بالحشيشة من 20 ألف دونم في الموسمين الماضيين، إلى أكثر من 30 ألف دونم العام الجاري، تضاف إليها حقول «الحشيشة اللقيسة» التي زُرعت في آب الماضي (تُزرع الحشيشة في شهري آذار ونيسان، فيما يُطلق «اللقيسة» على تلك التي تُزرع متأخرة عن أوانها). زيادة الأراضي المزروعة بالحشيشة جاءت أساساً «لكي نضمن حقنا بتسجيل اسمنا في لوائح المزارعين الذين سينالون رخصاً لزراعتها بعد تشريعها»، بحسب أحد المزارعين. ويلفت إلى أنه زاد مساحة حقوله المزروعة بالقنب الهندي من 150 دونماً العام الماضي إلى 400 دونم، فـ«طالما ما عادت ممنوعة لشو الخوف؟»، مشيراً إلى «أننا، أساساً، لم نتوقف عن زراعتها لأنها الحل الوحيد في ظل ما نمر به من ظروف اقتصادية صعبة، وبعد فشل كذبة ما أطلقوا عليه سياسة الزراعات البديلة، وبعد خسائر متتالية لحقت بمزارعي الزراعات التقليدية».

عوامل عدة تضافرت على جعل «الموسم» هذا العام مربحاً، مع ارتفاع الأسعار بنسبة 300% عن الموسمين الماضيين اللذين شهدا تكدّس الإنتاج المصنّع لدى التجار

> زادت أسعار الحشيشة بكل أنواعها بنسبة 300% عن الموسمين الماضيين

بعد إقفال منافذ التهريب خصوصاً إلى دول الخليج. التزاحم بين مزارعين وتجار كبار على ضمان النبتة «خضير» (تُشترى في أرضها قبل قصّها) من المزارعين الصغار يشير إلى موسم واعد. فقد ارتفع سعر ضمان دونم حشيشة الخضير من 400 ألف ليرة العام الماضي إلى ما بين مليون ومليوني ليرة، بحسب إنتاجية الدونم والنوعية وإذا ما كان بعلاً (إنتاج ذو جودة عالية - باب أول) أو مروياً (إنتاج ذو جودة جيدة). وسجّلت «الهقّة» (1250 غراماً) من الحشيشة المصنّعة (الزهرة) والنوعيات الأقل جودة (الكبشة) ارتفاعاً كبيراً في الأسعار. بحسب أحد كبار التجار، وصل سعر «الهقّة» إلى 700 ألف ليرة في مقابل 200 ألف الموسم الماضي. وإلى ارتفاع سعر صرف الدولار، يعزو التاجر ارتفاع الأسعار، أيضاً، ازدياد الطلب إلى اعتماد التجار البيع مقابل عقارات أو سيارات، الأمر الذي أدى إلى تصريف كل الإنتاج الذي كان مكدّساً من الموسم الماضي.

هذا في الظاهر، أما فعلياً، فيؤكد عدد من تجّار النبتة أنه بعد انفجار المرفأ، في الرابع من آب الماضي، والانشغال السياسي والأمني بتداعياته، ناهيك بالأزمة الاقتصادية والسياسية التي أدّت إلى تراخي القبضة الأمنية، كل ذلك سمح بفتح أبواب جديدة للتهريب البحري والبري. هكذا، تمّ التصريف والطريق مفتوحة والموسم الحالي ممتاز ويعد بأرباح جيدة... والشاطر بشطارتو». ولعل اكثر ابواب التهريب التي يجري الحديث عنها تلك التي «تربط بين الساحلين اللبناني والسوري وصولا الى تركيا، فضلا عن الطرقات البرية بين البقاع والشمال وسوريا وقرى وبلدات حدودية تركية، ومنها الى الخليج العربي ودول اوروبية»، بحسب ما يكشف احد التجار.

دراسة

«الفضل» لـ«كورونا» في تظهير المشاكل البنيويّة لأزمة التعليم

مشاريع الجهات المانحة تحمل أجندات لا تشبهنا

أزمة التعليم في لبنان بنيوية. وليست نتيجة جائحة «كورونا» التي كان لها «الفضل» في تظهير هذه الأزمة. المطلوب عقد تربوي جديد يستند إلى حاجاتنا الوطنية، لا إلى مشاريع «لا تشبهنا» تفرضها الجهات المانحة من دون أي دراسة لأثر هذه المشاريع على التعليم. وقبل ذلك، المطلوب، أولاً، إقصاء الفاسدين في وزارة التربية والمركز التربوي ومحاسبتهم

فاتن الحاج

«التعليم وصل إلى مأزق وثمّة حاجة إلى ثورة تربوية»، كما تقول رئيسة الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية سوزان أبو رجيلي. الأستاذة في كلية التربية في الجامعة اللبنانية تدعو إلى «عقد اجتماعي تربوي جديد» يكون الباحثون التربويون فيه بمثابة مرجعية علمية وطنية تضغط إلى جانب الرأي العام لتوجيه السياسات التربوية بما يتلاءم مع حاجات المجتمع. وتشدّد على «اعتماد مقاربة أخرى للملف التربوي تستند إلى أولوياتنا، لا إلى الأجندات الخاصة للجهات المانحة كالبنك الدولي والأمم المتحدة واليونيسيف التي تفرض على وزارة التربية مشاريع وخططاً إنقاذية لا تشبهنا من دون تشاور مع الأطراف التربويين إلا من باب رفع العتب، ومن دون أي دراسة لأثر هذه المشاريع على التعليم».

ضمن هذا التوجه، نشرت أبو رجيلي وزميلتها الأستاذة المتقاعدة من كلية التربية، سهام حرب، دراسة تناولت الواقع التربوي المأزوم في التعليم ما قبل الجامعي. الإشكالية التي طرحتها الدراسة: هل الأزمة التربويّة في التعليم العام نتيجة لجائحة كورونا وما رافقها من مشاكل، أم أنها كانت موجودة وظهّرتها الأزمات المتلاحقة؟

الباحثتان افترضتا بأنّ «أزمة التعليم العام أزمة بنيويّة طفت على السطح عندما تغيّر براديغم التعليم من حضوريّ إلى تعليم عن بُعد أو تعليم مدمج». لذا جرى الوقوف على واقع الأطراف التربويين، فأجريت سلسلة مقابلات مع عيّنة من الأهل (14) من مستويات علميّة متعدّدة وأوضاع عائليّة متباينة، و13 تلميذاً من مختلف المراحل التعليميّة ومن مدارس متنوّعة.

> شعور عام بين الأهل بأنّ التعليم عن بُعد لا يعدو كونه تمريراً للوقت فيما المخرجات التربويّة مشكوك في فعّاليّتها

المعلمون وحيدون تحت المجهر

الدراسة لفتت إلى أن العام الدراسي 2020 - 2021 انطلق على وقع الصراعات بين لجان الأهل وإدارات المدارس الخاصّة، نظراً إلى عدم قدرة عدد متزايد من الأهل على تسديد الأقساط. وسرعان ما أخذت مدارس خاصّة أساتذتها رهائن، فخفّضت معاشاتهم، أو أوقفتها كلياً، أو صرفت بعضهم. واعتمدت ممارسات تعسّفيّة، في ظل صمت النقابات، «ما يعكس التماهي بين منطق العديد من السلطات التربويّة ومنطق السلطة السياسيّة البعيدة عن معاناة الناس». أمّا معلّمو التعليم الرسمي، فرغم أن أجورهم لم تُحسم إلا أن قيمتها تدهورت نظراً إلى الأزمة الاقتصاديّة. ومع إغلاق المدارس في 29 شباط 2020، أيقنت وزارة التربية ضرورة طرح بدائل للمدارس الرسميّة، فصمّمت بالتعاون مع المركز التربوي سيناريوهات عدّة من بينها التلفزيون التربوي. ولتنفيذ خطّة التعليم عن بُعد، تطوّع عدد من المعلمين في القطاعين الرسميّ والخاص لتحضير دروس وتصوير حلقات تلفزيونيّة مخصّصة لصفوف الشهادات الرسميّة. وبحسب الباحثتين، أضاءت الحلقات التلفزيونية على تنوّع المهارات التعليميّة واللّغويّة، والتباين في ما بينها. هذا التفاوت في أداء المتطوّعين «يدلّ على الاستنسابيّة في معايير التوظيف عموماً، وقصور لجهة متابعة من يعانون من تعسّر في أدائهم ودعمهم وتدريبهم بشكل متواصل، في القطاعين الرسميّ والخاص، ما يُعتبر من أبرز إخفاقات التعليم في لبنان».

الباحثتان رصدتا مواقف متنوّعة لدى التلامذة تجاه التعليم عن بُعد، إذ لمستا استقلاليّة نسبيّة لدى بعض من استفادوا من مهاراتهم الأكاديميّة والتكنولوجيّة وطوّروها، ومثابرة لدى البعض الآخر حدّت منها أحياناً الإمكانيات الماديّة والمهارات التقنيّة المحدودة، فاتّسمت رحلتهم بالقلق والضياع. وكان الأمر أكثر إرباكاً لدى العائلات التي لا تمتلك الحدّ الأدنى من المقوّمات. إلى ذلك، كانت هناك لامبالاة لدى طلاب وجدوا في التعليم عن بُعد فرصة لتمرير العام الدراسيّ كيفما اتّفق، فلم يبذلوا جهداً يُذكر، بل انقطعوا إمّا إلى هواياتهم، وإمّا إلى العمل، وخصوصاً في العائلات الفقيرة. ورُصد تعثّر لدى من هم متعثّرون أصلاً، إذ قضى بعض الأهل نهارات بكاملها يحاولون تلقّف مادّة التعليم والإصغاء إلى الشروحات الضئيلة المتوفرة ليعودوا بعدها إلى أولادهم، يمعنون في الشرح والتدريب وفق طاقاتهم وتصوّراتهم. ومن بين هؤلاء المتعثّرين ذوو الاحتياجات الخاصّة الذين غالباً ما كان التعليم عن بُعد مشقّة عليهم وعلى أهلهم ومعلّميهم، وكذلك تلامذة الروضات الذين اعتبرهم بعض الأهل «متعلّمين غير مستقلّين»، و«لا يمكن ضبطهم أمام لوح إلكتروني». وبين الأهل أيضاً، ثمّة معلّمون عانوا الأمرّين لتلبية متطلّبات المدرسة الرسميّة أو الخاصّة فمارسوا التعليم عن بُعد، لكن لم يتسنّ لهم الوقت لمتابعة مسارات أولادهم، خصوصاً في العائلات المتعدّدة الأولاد.

تعليم لتمرير الوقت

«ضياع»، «غضب»، «قلق» هي مفردات مشتركة بين الأهل على تنوّعهم. وبحسب الباحثتين، بدا أن هناك شعوراً ضمنيّاً بأنّ التعليم عن بُعد لا يعدو كونه «تمريراً للوقت» وطريقة غير مجدية لاحتواء الأولاد وضبطهم. فيما المخرجات التربويّة مشكوك في فعّاليتها. وقد توزّع الأهل بين حضور فاعل (متابعة، مساندة، شرح، دعم، تذكير...) وحضور صوريّ اكتفى بالمراقبة والتنبيه والتأنيب. ولم تكن أي من فئات الأهل في وضع يؤهّلها أن تعوّض نظام «اللامدرسة» على الصعد النفسيّة والعلائقيّة والتعليميّة - التربويّة.

خلال صيف 2020، ترقّب المجتمع اللبناني صدور خطّة تربويّة وطنيّة لإدارة الأزمات المتوقّعة خلال العام الدراسي 2020-2021، خصوصاً بعد انفجار المرفأ وتضرّر 241 منشأة تعليميّة، مع تقدير الخسائر والأضرار بما يفوق الـ 100 مليون دولار، وبعد انتقال نحو 60 ألف طالب من القطاع الخاص الى الرسمي. غير أن ما صدر حتى الآن، كما أشارت الباحثتان، لم يرقَ إلى مستوى الرؤية الاستراتيجيّة المتكاملة، إذ اقتصرت الإجراءات على تدريب عدد من الفرقاء التربويين في المؤسستين، إضافة إلى عدد من مديري ومعلّمي القطاع الرسمي على استخدام منصّات وموارد تكنولوجيّة وعلى الإجراءات الوقائيّة من الأمراض الوبائيّة.

في المقابل، لم تنشر وزارة التربية أيّ تقرير يتضمّن مسحاً مفصّلاً لأضرار القطاع التربوي جرّاء انفجار بيروت، أو خطّة عمل لإعادة إعمار وترميم المدارس من جهة، ولدعم المديرين والمعلّمين التلامذة والأهل لمواجهة العام الدراسي الصعب من جهة أخرى. الباحثتان أوصتا بالركون إلى استراتيجيّة وطنيّة لتأمين رقابة تربويّة ودعم مهني في القطاعين الرسمي والخاص. لكن المهم قبل ذلك، «إقصاء ومحاسبة المسؤولين والموظّفين الفاسدين في وزارة التربية والمركز التربوي للبحوث والإنماء، وتعيين مسؤولين يتّسمون بالنزاهة والمعرفة والخبرة في إدارة الشأن العام، مع تفعيل مهامّ المفتّشين التربويين».

(مروان طحطح)

بريميرليغ

مانشستر يونايتد x تشلسي
«حرب الطامحين» في أولد ترافورد

يحلّ نادي تشلسي الإنكليزي ضيفاً ثقيلاً على نظيره مانشستر يونايتد، في قمة الجولة السادسة من الدوري الإنكليزي الممتاز. ستُلعب المباراة اليوم على ملعب أولد ترافورد (19:30 بتوقيت بيروت)، وسط رغبةٍ مضاعفةٍ من كلا الفريقين لتحقيق انتصار يُبعد عنهما الضغط الإعلامي والجماهيري

حسين فحص

تُعدّ مواجهة مانشستر يونايتد وتشلسي واحدة من أبرز كلاسيكيات الكرة الإنكليزية خلال السنوات الأخيرة، وهي برزت بشكل كبير عند تعيين المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو على رأس العارضة الفنية للبلوز عام 2004، في وقتٍ كان فيه السير أليكس فيرغسون مدرّباً للشياطين الحمر. مرّت السنوات، تغيّر المدربون وتغيّرت موازين القوى، غير أن اللقاء المرتقَب ظلّ مميّزاً بفعل قوة المنافسة بين الناديين. في قمة العطاء، كانت المنافسة شرسة بين الفريقين

> قد يشهد اللقاء المشاركة الأولى للوافد الجديد إلى مانشستر إدينسون كافاني

على الألقاب المحلّية والأوروبية، كما الحال في عام 2008 عندما لعبا نهائي دوري أبطال أوروبا. تراجع الفريقان بعدها إثر تغيير المدربين والتجديد غير المنظّم للفرق، مقابل ظهور قوى جديدة كمانشستر سيتي، واستيقاظ أخرى من سباتها كليفربول، لتتحول المنافسة من صراع على القمة إلى سباق من أجل الحصول على مقعد مؤهّل للبطولات الأوروبية. ظهر ذلك جلياً في الموسم الماضي، حين امتدّ الصراع بين مانشستر يونايتد وتشلسي حتى الجولة الأخيرة، لينتهي باحتلالهما المركزين الثالث والرابع تباعاً، بنفس رصيد النقاط. تقابل الفريقان في 4 مناسبات حينها، عرف رجال الدرب النرويجي أولي غونار سولشاير الفوز في ثلاث منها مقابل فوز واحد لرجال فرانك لامبارد. يتجدد اللقاء هذا الموسم بحلّةٍ جديدة، فالفريقان يحلمان بأكثر من المقاعد الأوروبية، وهما في صدد المُضي قدماً في المسابقات كافة إلى أبعد محطّة ممكنة.

كان لافتاً نشاط الناديين في سوق الانتقالات الماضي. كلا المدربين وضع خطّة واضحة للنهوض مجدّداً قوامها اللاعبون الجدد، المفارقة كانت بتلبية طلبات لامبارد كافة مقابل إرضاء سولشاير ببعض الأسماء في آخر أيام السوق. استقدم تشلسي ستة لاعبين جدد دخلوا التشكيلة الأساسية على مراحل متقطعة، وكان فريق المدرب فرانك لامبارد الأسرع والأفضل في إبرام الصفقات على صعيد أوروبا. رغم ذلك، اتّصفت بداية البلوز بالبطء والتخبط، على خلفية عدم تأقلم جميع اللاعبين الجدد. لم يُجهز لاعبو تشلسي حتى الأسبوع الماضي، بفعل إصابات متعدّدة عصفت بتشكيلة فرانك لامبارد، غير أن أغلب اللاعبين أصبحوا جاهزين بعد التوقّف الدولي الأخير. يحتلّ الفريق المركز الثامن محلياً بثماني نقاط من خمس مباريات، مبتعداً عن المتصدر إيفرتون بخمس نقاط. شهدت المباراتان الأخيرتان للفريق تعادلين، كان الأول مخيباً في الدوري أمام ساوثهامبتون، فيما كان الثاني «مقبولاً» أمام إشبيلية في دوري الأبطال.

على الجانب الآخر، فاز مانشستر يونايتد في مباراتين وخسر مثلهما في الدوري، ليحتلّ بذلك المركز الخامس عشر. كان اللاعب الهولندي دوني فان دي بيك أفضل صفقات الفريق حتى اللحظات الأخيرة من الميركاتو الصيفي والذي شهد استقدام المهاجم المخضرم الأوروغوياني إدينسون كافاني والظهير الأيسر أليكس تيليس. شارك هذا الأخير في الانتصار الأوروبي المهمّ على أرض باريس سان جيرمان، غير أن كافاني لم يسافر مع الفريق بسبب عدم جهوزيته البدنية. بعد الخسارة «الصاعقة» على أرضه أمام توتنهام بسداسية لهدف، حقق رجال سولشاير فوزين مهمّين على أرض نيوكاسل (1-4) وباريس سان جيرمان (2-1)، وهو يسعى لتحقيق الفوز الثالث تواليا عندما يستقبل تشلسي.

يغيب المدافع إيريك بايلي عن اللقاء بعد استبعاده لمدة أربعة أسابيع بسبب الإصابة، بينما لا تزال مشاركة المهاجم أنطوني مارسيال معلّقةً بعد نيله بطاقة حمراء ضد توتنهام. غاب هاري ماغواير عن فوز يونايتد في باريس، ما يرجّح أن يستمرّ سولشاير بثلاثة مدافعين في الخطّ الخلفي هم فيكتور ليندلوف، أكسل توانزيبي ولوك شو، خاصةً أن فيل جونز غير موجود في التشكيلة. وقد يشهد اللقاء المشاركة الأولى للوافد الجديد إدينسون كافاني، إضافةً إلى عودة الجناح ميسون غرينوود، في حين تبدو مشاركة جيسي لينغارد بعيدة المنال.

من جهته، يتفاءل المدرب فرانك لامبارد بعودة تياغو سيلفا وإدوارد ميندي، ما يعطي الفريق توازناً أكبر في الخطّ الخلفي. ظهر ذلك جلياً أمام إشبيلية، حين حافظ تشلسي على نظافة شباكه. مع عودة اللاعب حكيم زياش من الإصابة، وجاهزية الجناح الأميركي كريستيان بوليزيتش، سيتسنّى للامبارد أخيراً إشراك جميع عناصر تشكيلته الأساسية التي ستواجه مانشستر يونايتد المنتشي بانتصارين متتاليين.

مباراةٌ صعبة ينتظرها الفريقان، ستُبعد الضغط عن أحد المدربَين في حال الفوز. المنظومتان جاهزتان، وهما بحاجةٍ لانتصار في اللقاء الكلاسيكي من أجل الحصول على دفعةٍ معنوية تمهيداً للاستحقاقات المقبلة.

يبدو يونايتد في حالٍ جيدة أخيراً (أ ف ب)

أبرز مباريات الأسبوع

■ السبت 2020/10/24

الدوري الإنكليزي
- وستهام x مانشستر سيتي 14:30
- مانشستر يونايتد x تشلسي 19:30
- ليفربول x شيفيلد يونايتد 22:00

الدوري الإسباني
- برشلونة x ريال مدريد 17:00
- إشبيلية x ايبار 19:30

الدوري الإيطالي
- أتلانتا x سامبدوريا 16:00
- جنوى x إنتر ميلانو 19:00
- لاتسيو x بولونيا 21:45

الدوري الألماني
- بايرن ميونيخ x اينتراخت فرانكفورت 16:30
- لايبزك x هيرتا برلين 16:30
- بروسيا دورتموند x شالكه 19:30

الدوري الفرنسي
- لوريان x مارسيليا 18:00
- باريس سان جيرمان x ديجون 22:00

■ الأحد 2020/10/25

الدوري الإنكليزي
- ساوثهامبتون x إيفرتون 16:00
- وولفرهامبتون x نيوكاسل 18:30
- آرسنال x ليستر سيتي 21:45

الدوري الإيطالي
- بينيفينتو x نابولي 16:00
- يوفنتوس x فيرونا 21:45

الدوري الفرنسي
- نيس x ليل 18:00
- ليون x موناكو 22:00

قضية

تقييد «السحب بالليرة»... الرياضة أيضاً تدفع الثمن

قبل حوالى عام، ومع انطلاق أحداث 17 تشرين في مختلف المناطق اللبنانية، توقف النشاط الرياضي بشكل كامل. تظاهرات واعتصامات وقطع طرقات وصعوبة تنقل بين المناطق جمّدت النشاط الرياضي، إلا أن الضربة القاضية جاءت نتيجة الأزمة الاقتصادية والنقدية وارتفاع سعر صرف الدولار. ولكن «ما يزيد الطين بلة» هو قرار مصرف لبنان الجديد الذي حدد عبره للمصارف الكميّات المسموح سحبها من حساباتها الجارية لديه بالليرة اللبنانية، ليضع مزيداً من الضغوط على الأندية الرياضية، خاصة في كرة القدم وكرة السلة.

بات اللبنانيون ومنهم إدارات الأندية الرياضية غير قادرين على سحب الأموال التي يحتاجونها بالليرة اللبنانية. قرار تحديد سقوف السحوبات بالدولار سابقاً خلق الكثير من المشاكل بين اللاعبين وإدارات الأندية، فلجأت هذه الأخيرة إلى تخفيض الرواتب وتحويلها إلى الليرة، وذلك لكي تتمكّن من الاستمرار ولا تعلن إفلاسها وابتعادها إلى غير رجعة.

المتضرر الأكبر أولاً كانت أندية كرة السلة، والتي تصرف مبالغ هائلة كل عام، خاصة بالنسبة إلى رواتب اللاعبين. لجأ بعض الأندية إلى دفع «الشيكات المصرفية» بالدولار الأميركي، أو تحويل جزء من الراتب بالدولار إلى الليرة على سعر الصرف 3900 ليرة، ودفع الجزء الآخر باللبناني. دخلت الرياضة اللبنانية الفوضى المالية، ولجأ عدد من لاعبي الصف الأول في كرة السلة إلى البحث عن عقود خارجية من أجل تحقيق استقرار ماليّ. لاحقاً توقّف النشاط السلوي ولا يزال بفعل الأزمة المالية وأزمة كورونا، وهناك العديد من المشاكل بين اللاعبين والأندية، ومن المتوقع أن يساهم القرار الجديد في تعميقها.

المشكلة الكبيرة أيضاً ستكون في كرة القدم. خلال الفترة الماضية كان بعض الأندية الكبيرة يلجأ إلى دفع رواتب بعض اللاعبين من خلال «شيكات مصرفية» بالدولار الأميركي، ويقوم اللاعب بقبضها من المصرف على قاعدة أن كل دولار يساوي 3900 ليرة. حتى إن موضوع «الشيكات» خلق الكثير من المشاكل بين الأندية واللاعبين بسبب عدم تسليم المصارف للأموال كاملة في بعض الأحيان. المشكلة المالية وخاصة تلك المتعلقة بانقطاع الدولار الأميركي دفعت إلى اتخاذ قرار صعب، وهو وقف التعاقد مع اللاعبين الأجانب، الأمر الذي أثر على مستوى الدوري المحلي بشكل أو بآخر.

اليوم ومع اتخاذ المصارف. بعد قرار مصرف لبنان. إجراءات تحديد سقف للسحوبات بالليرة، ستصبح المهمة صعبة على الأندية التي تحتاج إلى الأموال من أجل التحضير ودفع الرواتب وحتى اتخاذ إجراءات السفر في حال كان هناك استحقاق خارجي. واللافت أن بعض أندية الدرجة الأولى في كرة القدم تدفع رواتب شهرية تصل إلى حدود الـ150 مليون ليرة، ومعظم اللاعبين يتقاضون رواتب أعلى من مليوني ليرة في الشهر، وهو السقف الذي لا يمكن تجاوزه في بعض المصارف.

الأمر الإيجابي الوحيد بالنسبة إلى أندية كرة القدم، هو أنها تلقت مساعدة من الاتحاد اللبناني للعبة بالدولار الأميركي، وبالتالي يمكن للإدارة دفع الرواتب «كاش» للاعبين سواء بالدولار أو بعد صرف هذه الأموال على الليرة اللبنانية. الأندية تلقت مساعدة بلغت قيمتها 20 ألف دولار أميركي، وهناك دفعة أخرى مثلها بعد فترة. الأزمة الجديدة يمكن أن تتجاوزها أندية كرة القدم بهذه الطريقة لفترة محدودة جداً، ولكن الحديث هنا عن الرواتب فقط، فالأندية بحاجة إلى سحب الأموال لتغطية نفقات أخرى منها النقل، وصيانة ملاعبها وشراء تجهيزات جديدة، وكل هذا من شأنه أن يعقّد المهمة ويخلقَ مشاكل مع شركات تعمل مع الأندية أو هي متعاقدة معها، إذا لم يتم السماح لها بسحب الأموال التي تحتاجها بالليرة اللبنانية أو الدولار الأميركي من المصارف.

مرة جديدة تقع الرياضة اللبنانية ضحية للإجراءات التي يتخذها مصرف لبنان وبعده المصارف، والتي تعرقل بشكل كبير عمل الأندية التي تحتاج إلى الأموال لكي تستمرّ. كرة السلة تبدو غائبة بشكل شبه كامل، وأنديتها تعاني مالياً بشكل كبير جداً. أما كرة القدم فهي قادرة على الاستمرار لفترة غير طويلة بفضل المساعدة الاتحادية، ولكن الإجراءات المالية ستفاقم الأزمة، وتدفع لاعبي الصف الأول إلى البحث عن فرص خارج البلاد، كما ستدفع أندية «فقيرة» إلى الابتعاد ربما، كونها غير قادرة على الاستمرار.

(الأخبار)

تعاني الأندية بشكل كبير جراء انقطاع السيولة (عدنان الحاج علي)

لا ليغا

برشلونة x ريال مدريد
«الكلاسيكو» يفقد بريقه!

بعد رحيل البرتغالي كريستيانو رونالدو، البرازيلي نيمار، الإسباني أندريس إنييستا في السنوات الأخيرة، والأوروغوايانّي لويس سواريز والويلزي غاريث بايل هذا الموسم عن برشلونة وريال مدريد، فقد الكلاسيكو كثيراً من بريقه، وكاد أن يتضاءل وهجه بشكل أكبر لو سمح برشلونة برحيل نجمه الأرجنتيني ليونيل ميسي قبل انطلاق الموسم الحالي. عوامل عدة أثّرت على ذلك، لا سيما غياب الجماهير عن الملاعب بسبب تداعيات فيروس كورونا، حيث سيفتقد النادي الكاتالوني هتافات نحو 99 ألف مشجع.

ويدخل المدرب الهولندي رونالد كومان مباراته الأولى في الكلاسيكو ومهمّته واحدة، وهي إلحاق الهزيمة الثالثة تواليا بغريمه الأزلي في غضون أسبوع، ووضع نظيره الفرنسي زين الدين زيدان تحت ضغط هائل.

ومُني النادي الملكي بخسارة مفاجئة بهدف نظيف على أرضه أمام قادش السبت الفائت في الـ«ليغا»، قبل أن يسقط أيضاً على ملعب «سانتياغو برنابيو» أمام شاختار الأوكراني (2-3) في مستهلّ مشواره في مسابقة دوري أبطال أوروبا لكرة القدم. ولم تكن حال برشلونة أفضل في الـ«ليغا» عندما سقط بدوره بنتيجة (صفر-1) أمام مضيفه غرناطة، إلّا أنه عوّض قارّياً بفوز مقنع (5-1) على ضيفه فيرينتسفاروش المجري.

وبشكل عام لم تكن بداية كومان الذي خلف كيكي سيتيين مع نهاية الموسم الماضي مثالية، مع ثلاثة انتصارات، تعادل وخسارة وهو يحتلّ المركز التاسع في الـ«ليغا» برصيد 7 نقاط من أربع مباريات، لكنّه خاض مباراتين أقل من المتصدرين ريال سوسييداد وفياريال (11 نقطة).

ورغم استمرار معاناة المهاجم الفرنسي أنطوان غريزمان الذي يكافح لإيجاد مستواه مع الفريق حيث أبقاه كومان على دكة البدلاء أمام فيرينتسفاروش، بقي الهولندي مؤمناً باللاعبين الشباب لردّ الجميل له، وخصوصاً أنسو فاتي الذي قال عن مباراة الكلاسيكو: «ندخل إليها بأكبر حافز ممكن. إنه الكلاسيكو، وهي مباراة لطالما حلمت باللعب بها». وسيعوّل كومان بالدرجة الأولى على ميسي أفضل هدّاف في تاريخ لقاءات الفريقين.

> سيعوّل كومان بالدرجة الأولى على ميسي أفضل هدّاف في تاريخ لقاءات الفريقين

ولم يسبق لكومان وزيدان أن تواجها كلاعبَين بعدما لعب الأول في صفوف النادي الكاتالوني بين عامَي 1989 و1995، فيما وصل الثاني إلى فريق العاصمة الإسبانية في عام 2001 قبل أن يعتزل في 2006. ورغم أن ريال مدريد لا يبدو في أفضل أيامه، فقد يأخذ الثقة من سجل زيدان كمدرب في ملعب «كامب نو» الذي زاره في خمس مناسبات ولم يخسر خلالها أيّ مباراة (انتصاران وثلاثة تعادلات)، كما خسر النادي الملكي مباراة واحدة في آخر سبع زيارات إلى ملعب خصمه.

ويحتلّ ريال مدريد المركز الثالث في الدوري برصيد 10 نقاط من خمس مباريات من ثلاثة انتصارات، تعادل وهزيمة.

استراحة

كلمات متقاطعة 3580

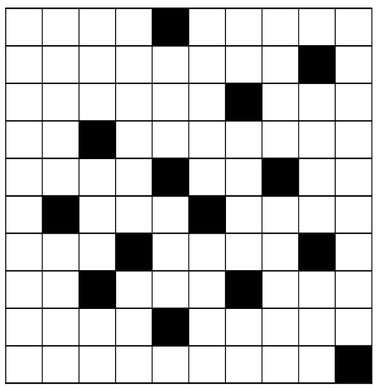

أفقيا

1- جسر باللغة المصرية – شهر ميلادي – 2- عاصمة جزر هاواي – 3- زاد النبات ارتفاعاً – من الطيور – 4- شبكة فنادق عالمية شهيرة – نوتة موسيقية – 5- للندبة – مقياس مساحة – صوت السيوف – 6- موضع هبوط مياه الأنهر العظيمة – لحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك – 7- بطيخ أصفر – تسدّ القارورة – 8- أعطى من دون مقابل – بركة – متشابهان – 9- نباتات تحمل حبوب القمح – جنس شجيرات قليل الشوك أوراقه صغيرة بيضيّة الشكل وثماره صغيرة سوداء تنبت في عدة بلدان من المتوسط – 10- مدينة في مصر من ضواحي القاهرة

عمودياً

1- فيلسوف صيني – 2- مطلع الأغنية البلدية – إسم إشارة للمكان القريب – 3- من مطيّبات الأكل يُعرف بالفلفل – أولاد الأسود – 4- أصغر نهر في العالم – مدينة أميركية عاصمة أوريغون – خشن وغلظ الصوت – 5- إسم كانون الثاني في بعض البلدان العربية – مدينة قديمة في روسيا – 6- عائلة ممثل أميركي راحل – ضد خصّص – 7- إسم حمله خمسة ملوك أشوريين – أحل – 8- ضرب من الأحذية – بقل زراعي يُعرف أيضاً بإسم سلجم – أبو الأب أو الأم – 9- المخلص – ثوب ترتديه الهندّيات – 10- كتاب مشهور لإبن حزم هو أدقّ ما كتب العرب في دراسة الحبّ وأسبابه ومظاهره

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- هياكل بعلبك – 2- شامبينو – 11 – 3- سين – أمنت – 4- مر – راهن – غم – 5- أحس – ري – بيا – 6- مكسرات – 7- حم – الرشد – 8- اسوان – بو – 9- جاف – فولغا – 10- سياط المكيّ

عمودياً

1- هشام الحاج – 2- يا – زح – مساس – 3- أمس – سم – وفي – 4- كبير – كيا – 5- لينارس – نفط – 6- بن – هيرا – وا – 7- عوان – الجَلل – 8- بتر – غمّ – 9- بانغي – شباك – 10- كاتماندو

sudoku 3580

		2	7				8	
4		6		5	3			9
	9			1				5
9	3	4			5			
1								4
			3		1	9	7	2
3							9	
7			9	2		6		8
	6				8	5		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3579

1	3	5	8	6	9	4	2	7
7	9	2	3	4	5	1	6	8
6	4	8	7	2	1	9	3	5
2	6	3	1	9	8	5	7	4
5	8	7	4	3	2	6	1	9
4	1	9	6	5	7	3	8	2
8	5	6	9	7	3	2	4	1
3	2	1	5	8	4	7	9	6
9	7	4	2	1	6	8	5	3

مشاهير 3580

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس مجلس نواب لبناني شارك في تأسيس حركة أمل وتولى رئاستها وشارك في تأسيس الهيئة الوطنية للمحافظة على الجنوب.
أحد عرابي إتفاق الطائف

■ 4+3+2+6+5 = نهر فرنسي ■ 6+11+7+10 = ضعيف الجسم ■ 8+1+9 = يشعر

حل الشبكة الماضية: راوول كاسترو

إعداد
نعوم مسعود

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الامين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار ابي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري

■ صادرة عن شركة اخبار بيروت

■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونات ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الاوائل
01/666314ـ15 ـ 03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

انتفاضة لبنان في عيد ذكرى فشلها

أسعد أبو خليل *

ليس جديداً علينا الاحتفال بالهزائم وذكراها. إنّ أكبر صفقة تزييف في الثقافة العربية المعاصرة، هي الاحتفال السنوي بـ«حرب أكتوبر»، التي ـ وإن بدأت أيّامها الأولى بانتصارات عربية ـ انتهت بهزيمة للجيشين (النظامَين، بالأحرى) المصري والسوري. وفكرة أنّ تلك الحرب كانت انتصاراً للعرب، بالرغم من وجود خرائط ومعلومات عن خواتيم تلك الحرب في الكتب وعلى المواقع، متأصّلة في الوعي العربي المعاصر، ولسبب خبيث: لتسويغ التحوّل نحو الصلح المنفرد، ومن أجل منح النظامَين شرعيّة سياسية. وهذه السنة، رأينا في لبنان احتفالات صاخبة وغنائيّة بذكرى فشل الانتفاضة اللبنانية (تبادل بعض الشباب التهاني بـ17 تشرين الأول/ أكتوبر، على طريقة تبادل التهاني هنا بـ4 تموز/ يوليو في عيد الاستقلال الأميركي). الطريف أنّ الجناح الثاو الثاوي في الحراك، لا يجد ما يحتفل به أو ينوّه به غير سقوط حكومة سعد الحريري، فيما يرحّب هؤلاء بعودة الحريري، اليوم، إلى السلطة (قارن ردّة فعل الشباب الثاو الثاوي على تسمية حسان دياب بردّة فعله على تسمية الحريري). من المشكوك فيه أن يكون أيٌّ من الانتفاضات العربية قد حقّق نجاحات: من الأكيد أنّ أيّاً منها لم يكن ثورة. لكنّ الحالة اللبنانية من الانتفاضات كانت أضعفها، لأنّ الطبقة الحاكمة بقيَت كما هي ولم تتغيّر، حتى في الوجوه أو الطواقم. في تونس، غيّروا وجوهاً كي يقتنع الناس (زوراً) بأنّ شيئاً ما قد تغيّر. الذي تغيّر في لبنان، هو وجود مجموعات شبابيّة لا تخجل من عقد مقارنات (على شاشة «إل بي سي»، لصاحبها بيار الضاهر، الذي يصفه بول عنداري بأنّه كان ضابط الارتباط بين القوات اللبنانية في الجبل، وبين قوّات الاحتلال الإسرائيلي) بين الثورة الفرنسية والروسية وبين «الثورة اللبنانية».

لا يخال المرء أنّ هناك علاقة بين الانتفاضة السودانية والانتفاضة اللبنانية. قد يبدو الشعب السوداني بعيداً عن لبنان، وهو لا يزال (بحكم لون البشرة) هدفاً للعنصرية اللبنانية التقليدية، التي لا تستثني «الفول السوداني» من التسمية العنصرية. لكنّ ما حدث في السودان، هو أبلغ درس للبنان ولكلّ الانتفاضات العربية: الحكومة الأميركية تبتزّ الشعب السوداني في العلن، وتنذره بأنّها ستحاربه وتجوّعه لو أنه لم يرضخ للتطبيع مع العدو، ثمّ منحته مهلة 24 ساعة كي يتسنّى لدونالد ترامب استغلال الحدث، قبل موعد الانتخابات النيابية. ترامب ألزم شعب السودان بدفع مبلغ 335 مليون دولار لعائلات ضحايا تفجيرات بن لادن (في الفترة التي كان مقيماً فيها في السودان)، كأنّ الشعب السوداني كان ضالعاً في مؤامرات بن لادن. وتلقّت السودان وعوداً بالمنّ والسلوى (تماماً كما تلقّت تلك الوعود مصر في عهد السادات، وهي لا تزال تعاني من الفقر والعوَز والتخلّف التنموي، وتماماً كما يُسوِّق لنا اليوم دعاة مفاوضات الناقورة، ومن ضمن المخطّط الأميركي نفسه، وعود عن أنهار يجري فيها النفط والغاز). الربط بين لبنان والسودان، هو للتذكير بوقع المؤامرة الأميركية ـ الإسرائيلية ـ الخليجية في كلّ الدول العربية، لفرض التطبيع ولمعاقبة أيّ موقف مناهض لإسرائيل، خصوصاً إذا ترافق مع وجود مقاومة مسلّحة ضدّ العدو الإسرائيلي. وبحسب المحلّل العسكري في «يديعوت أحرنوت»، فإنّ ضبّاطاً إسرائيليّين أجمعوا على أنّ حزب الله يشكّل الخطر الأكبر على إسرائيل. لو كنّا نعيش في زمن سابق، لشهدَ لبنان تظاهرات احتفاليّة لأنّ لبنان بات اليوم يُشكّل أكبر خطر على دولة الاحتلال. من توقّع هذا؟ حتماً ليس شارل حلو وجماعة قوّة لبنان في ضعفه وهوانه. هذا ليس بالأمر العابر. لبنان الذي كان منذ استقلاله (الشكلي) عنصر طمأنة وسندٍ لإسرائيل، والذي جعلته عقيدة فؤاد شهاب العسكرية حليفاً غير مُعلن في الحروب العربية ـ الإسرائيلية المتوالية، بات يقضّ مضاجع العدو المحتمي بترسانة نووية.

لوجود مقاومة مسلّحة وفاعلة في لبنان ثمنٌ وثمارٌ. الثمار أنّ إسرائيل، للمرّة الأولى، تتمنّع عن قصف لبنان بالطائرات والمدفعية وعن التوغّل الدوري في أراضيه. والذي يمنعها ليس قائد جيش لبنان، جوزيف عون (وهو مشغول أصلاً برصد شوالات البطاطا على الحدود الشرقية وفق أوامر أميركية وبريطانية صارمة)، وليس قوى صبّ الشاي في الأمن الداخلي. شعب الجنوب لم ينعم من قبل في تاريخه بالهدوء والسكينة التي ينعم بها، منذ عام 2000، بالرغم من حرب تموز، التي طُرِدَ فيها العدو شرّ طردٍ من لبنان. لكن هناك ثمنٌ باهظٌ: لا تريد الحكومة الأميركية أن تكون هناك أية قوة عسكرية على حدود فلسطين تشكّل تهديداً للسيطرة العسكرية الإسرائيلية الكليّة. جرى استبعاد الجيش المصري بالكامل في كامب ديفيد، وتمّ تدمير الجيش العراقي عن بكرة أبيه، والجيش السوري أهمل الجولان من حرب 1973، بينما كرّس حافظ الأسد عقيدة «البعث» السوري في أنّ مصلحة بقاء النظام تعلو على السيادة الوطنية، وعلى تحرير الأرض المحتلّة.

أحاول جاهداً، منذ اندلاع الانتفاضة، أن أقنع أصدقاء خلّصاً بأنّ المؤامرة الأميركية تلعب دوراً كبيراً في لبنان، وإن أخفاها الإصرار من كلّ عناصر الحراك ـ من دون استثناء ـ على تجاهل السياسة الخارجية، باستثناء تلك القوى التي ترى ضرورة ماسّة لطمأنة إسرائيل عبر الإصرار على نزع سلاح المقاومة. الزيارات المتوالية لهيل وشينكر، تترافق مع زيادة واضحة في الإنفاق الأميركي على البروباغندا في لبنان. قد يكون الإنفاق الأميركي في هذا المجال أكبر من إنفاق السنوات التي تلت اغتيال الحريري. في أميركا، يقولون إنّ أصابع البروباغندا السياسية تظهر في إعلانات برامج الحديث السياسي يوم الأحد. وبالفعل، تتزاحم شركات صنع السلاح وشركات الأدوية لشراء مساحة إعلانية، لأنّ تلك البرامج مُشاهَدة من النخبة السياسية في العاصمة. لكن لم تعد محطّة «الحرّة» هي الوحيدة التي تضخّ البروباغندا الحكومية الرسمية في عالمنا العربي. الحكومة الأميركية، تبتاع مساحات في كلّ المحطّات المحلية في العالم العربي، وعليكَ ألّا تلاحظ ذلك لأنّك لو لاحظتَ فإنّك من أنصار نظرية المؤامرة والإيمان بها ليس دليل تطوّر أو رقي ـ بحسب معايير ثقافة النفط والغاز. يكفي أن تلاحظ آثار الدفق المالي الأميركي على المحطّات «الثوريّة» الثلاث في لبنان. تكون تشاهد نشرة الأخبار، وإذ يظهر أمامك ديفيد هيل وهو يقرأ بياناً يُذاع بالكامل، من دون مقاطعة أو تعليق. باتت أميركا تحظى في إعلام لبنان، بما كان يحظى به صدّام في إعلامه. لكن الأصرح في ضخّ البروباغندا هو برنامج ألبرت كوستانيان على محطة «إل بي سي». هو لا يكتفي بمضمون دعائي أميركي (رسمي؟)، ولماذا يقف متأهّباً عندما يقابل مسؤولاً أميركيّاً؟ هل هذه المناقبيّة الكتائبيّة التي سمعنا عنها)، بل إنّ المضمون الإعلاني لبرنامجه يشي برعاية تجاريّة له. في الأسبوع الماضي، بعد أوّل فقرة، بثّ تقريراً حكوميّاً رسميّاً عن نشاطات وأعمال الخير والإحسان والحنان للوكالة الأميركية للتنمية. وتلاها شريط بروباغندا (محلّي؟) لمجموعة اسمها «أنا القرار» وفيها تقريع وشتائم (من نوع أنتم عملاء) لأعداء إسرائيل في لبنان، ودعوة لتسوية الأمور مع «الجيران»، بالحرف ـ وهم طبعاً يستثنون سوريا من الجيرة. كوستانيان قرَّع دولة لبنان، لأنّها «راوغت وماطلت» لعشر سنوات، ولم تقدِّم للعدو الإسرائيلي ما طالبها به. هذه هي أجواء لبنان هذه الأيام. يُضلّل من يرى أنّ لبنان لا يتماشى مع وتيرة التطبيع، وإن على لحن مختلف. تساءل ميشال عون، في يوم خطابه قبل أيام، عن جدوى عزلة لبنان عن التغييرات العربية،

> هناك دلائل على أنّ قدرة الحكومة الأميركية على الضغط على لبنان ازدادت كثيراً في السنة الأخيرة

كأنّه بذلك يخوِّف اللبنانيّين من عواقب معاندة التطبيع.

عام واحد على انتفاضة تأمّلَ فيها الخير كثيرون وكثيرات. تغيّرت أشياء. نبتت وفرّخت تنظيمات وحركات وفصائل، وكبر حجم فريق 14 آذار من دون إعلان ذلك. معظم الحراك ينضوي عقائديّاً في فريق 14 آذار، فيما هناك تنظيمات ثاو ثاويّة تختلف مع 14 آذار، فقط لأنّه لم يتطرّف يمينيّاً ورجعيّةً بما فيه الكفاية، ولأنّه لم يعادِ حزب الله وسلاح المقاومة، بما فيه الكفاية. أي إنّ الجناح الثاو الثاوي نبتَ على الضفّة اليمينيّة لـ14 آذار. 14 آذار لم تمت، فيما زحفت قوى في 8 آذار نحو 14 آذار، من دون إعلانٍ أو طنطنة. تشكّل نسقٌ من اندماج بين قوى الحراك و14 آذار، بحيث أصبح حزب «الكتائب» وميشال معوّض وصفّ إعلاميّي بيت الحريري المصروفين، في طليعة قوى الثورة. وسارع حزب «القوات» إلى التكيُّف مع الانتفاضة بذكاء منذ البداية، فيما أصرّ حزب الله على الظهور بمظهر الحامي الوحيد للنظام، مع أنّ النظام محميّ داخليّاً وعالميّاً من قوى متعدّدة أبرزها دول الغرب. وقع حزب الله في الفخّ نفسه، الذي وقع فيه في عام 2005، عندما دخل (أو أُدخلَ بتشجيع من نجيب ميقاتي الذي لم يعُد دوره في تلك المرحلة خافياً وبالاتفاق مع تيري رود لارسن وجيفري فيلتمان) إلى الحكم.

فشلت قوى الحراك في الانصهار أو الاتفاق أو العمل داخل جبهة أو ائتلاف. ولا يمرّ أسبوع من دون الإعلان التحضيري عن قرب ظهور جبهة أو حركة جديدة تجمع الثوار، ثمّ يمرّ الوقت ولا يحدث الإعلان. هناك محاولات للتنسيق لم تنجح. وعندما تقرأ البيانات التي تضم أسماء ومجموعات تظنّ أننا نتحدّث عن جماهير مليونيّة، فيما بعض التنظيمات تضمّ الأخ وفرداً آخر من العائلة، وهناك تنظيمات لا توجد إلّا على الورق، تعبيراً عن رغبات قوى داخلية أو خارجية. وهناك منظّمة جديدة تتحدّث باسم المودعين، وتظهر في صور باسمة مع رياض سلامة، حامي مال المودعين من الأذى. وهناك تنظيمات صغيرة تكاد تصف نفسها بقوى طمأنة الاحتلال الإسرائيلي.

قد تكون «حركة مواطنون ومواطنات في دولة» الوحيدة بين قوى الحراك التي أصدرت تصوّراً واضحاً عن واقع الاقتصاد اللبناني، فيما قصّرت الأحزاب والتنظيمات الشيوعية، على مرّ العقود، في وضع تصوُّر مماثل. أدبيّات الأحزاب الشيوعية اللبنانية في هذا المجال، لم تكن أكثر من نقل شبه كامل لترجمات «دار التقدّم» الرديئة من التراث الماركسي. كتاب شربل نحّاس الأخير، «اقتصاد ودولة للبنان»، يتضمّن شرحاً وافياً للأزمة الاقتصادية الحالية ويقدِّم حلولاً بعيدة المدى لها. وهنا مكمن القصور: الحركة تطلب (هل بالتنسيق مع حليفها الجديد، «الكتلة الوطنيّة» اليمينية التي طالبها رئيسها الجديد، روبير فاضل، بالمزيد من العقوبات الأميركية على لبنان؟) تسلُّم السلطة بصلاحيّة استثنائيّة (المطالبة بتسلُّم السلطة بصلاحيّات استثنائيّة يذكّر بطلب رفيق الحريري من حافظ الأسد في هذا المجال ـ والحريري كان من دعاة سوريا، ثم لبنان أولاً) لكنّها لا تطرح حلولاً أو برنامجاً قصير المدى. المطالبة بجردة لا تكفي. لكنّ الكتاب يطرح، للمرّة الأولى، الأبعاد المختلفة لواقع وجود اللاجئين السوريّين في لبنان ولضرورة التعامل معه بتكامل اقتصادي بين البلدَين. قد تنفر قوى في الحراك من ذلك. لكن مثله مثل معظم تنظيمات الحراك، يعاني الكتاب من غياب التعاطي مع السياسة الخارجية، ومع الخطر الإسرائيلي. يمرّ خبر تفجير إسرائيل لطائرات مدنيّة لبنانية، في عام 1968، في الكتاب، في قسم عن النقل في لبنان، كأنّ هناك قطاعاً في لبنان لا يتهدّد من قبل إسرائيل؟ كيف يمكن وضع برنامج اقتصادي من دون إقرانه بتصوُّر عن طريقة التعاطي مع الخطر الإسرائيلي؟ كان لبنان يستعين بالسفير الأميركي في عهد شارل حلو، لاستجداء إسرائيل لعدم قصف منشآت مائيّة في لبنان.

لكن هناك دلائل على أنّ قدرة الحكومة الأميركية على الضغط على لبنان، ازدادت كثيراً في السنة الأخيرة. انسحب النظام السعودي من لبنان (باستثناء استمرار تمويل أعمال التخريب الدعائي والسرّي)، كما انسحبت منه أنظمة الخليج (طبعاً، هذا الانسحاب لم يؤثّر على إغداق كلّ الطاقم السياسي اللبناني ـ من 8 إلى 14 آذار ـ المدائح على أنظمة الخليج وعلى هذا الأمير عندما يموت، أو ذاك). باتت الحكومة الأميركية تحتكر الوصاية على لبنان، وهي أدخلت ما شاعت من تعديلات على مبادرة إيمانويل ماكرون. في غضون أسبوع، بعد تدخّل ديفيد شينكر، تغيّر مشروع ماكرون من تشكيل حكومة وحدة وطنيّة إلى تشكيل حكومة تكنوقراط سنيوريّة (والطريف، أن ماكرون طلب من الشعب اللبناني ألا يلاحظ التغيُّر الجذري في هذا الجانب من مشروعه الممدّد للبنان). وحكومة حسان دياب أثبتت أنّ النفوذ الأميركي لم يعُد مرتبطاً بفريق واحد في لبنان. ضغطت أميركا على قوى 8 آذار من أجل تسهيل عمليّة تهريب المجرم عامر الفاخوري (لا يمكن لقوى 8 آذار أن ترمي هذه العمليّة المشينة على عتبة 14 آذار، لأنّها لم تكن في الحكم). كان واضحاً أنّ تعاوناً من قبل حركة «أمل» و«التيار الوطني الحر»، هو الذي سمح بتهريب المجرم، مع سكوت غير مألوف من قبل الحزب الذي أعلن عجزه عن منع ما حصل. وكان هذا التهريب، من المتوقّع أن يزيد من شهيّة الإدارة الأميركية في تحقيق المزيد من التنازلات اللبنانية قبل الانتخابات.

وإعلان العقوبات على علي حسن خليل وعلى يوسف فنيانوس لم يكن إلّا تكريساً للوصاية الأميركية المباشرة على لبنان، ولرضوخ 8 آذار لهذه الوصاية. بيان حركة «أمل» (عن العقوبات الأميركية) كان جدّ ضعيف في الدفاع، وتطرّق فجأة إلى اتّفاق الحدود، كأنّ مبادلة كانت تجري من وراء الستار، وردّ المردة لم يتعدّ الجملة الواحدة. وتزامن كلّ ذلك مع سكوت معظم فريق 8 آذار ـ إن لم نقل كلّه باستثناء حزب الله ـ عن حملات التطبيع الخليجية الصفيقة. فجأة، تبخّرت المسافة بين 8 و14 آذار، وهذا من نتائج السيطرة الكلّية التي باتت تفرضها الحكومة الأميركية على الواقع السياسي اللبناني. باتت الطبقة الحاكمة تقبض أنفاسها، وهي تتساءل عمّا إذا كان ديفيد شينكر (نسيناً أنه خرّيج مؤسّسة واشنطن، أي الذراع الفكرية للوبي الإسرائيلي في واشنطن؟) سيزور هذا الزعيم أم ذاك، وإذا كانت العقوبات ستطال هذا الفاسد وذرّيته أم ذاك (وطبعاً، ليس هناك ما يخشاه فاسدو لبنان لأنّ مصالح الثراء تتماشى مع السياسة الأميركية). وشينكر، يدلي بتصريحٍ ضدّ الفساد في المساء، ثم يتناول طعام الغَداء في اليوم التالي عند وليد جنبلاط، قبل أن يتناول الشاي بعد الظهر مع نبيه برّي. ومحاولة تصوير ترسيم الحدود على أنّه جانب تقنيّ منفصل عن السياق السياسي العام، كانت فاشلة من بيان أمل ـ حزب الله، الذي جعل عضويّة الوفد هي المسألة الحساسة لا المسار التفاوضي كلّه.

كلّ هذا الجو العام كان من بعض إفرازات الانتفاضة التي تلاقت فيها أجنحة الثاو الثاو مع مصلحة الطبقة الحاكمة، ومع ما يُدار من حربٍ إقليميّة ضد الداخل.

إبرهيم الحُميدي، وصحف محمد بن سلمان، تزهو بطوابير الخبز والمحروقات في سوريا بسبب العقوبات الأميركية، ومايك بومبيو هذا الأسبوع، يزهو بأن تجارة النفط الفنزويلي باتت محصورة بالتبادل مع الذهب الإيراني. وهناك مَن يريد أن يصدّق أنّ المعاناة وشحّ الدولار، هما حدثٌ داخلي لا شأن للخارج فيه. وعندما تذكّر بالمؤامرة الأميركية ـ الإسرائيلية ـ الخليجية (والحلف بين الأطراف الثلاثة خرج إلى العلن، بعدما كان هناك من يهزأ بالذي يتحدّث عن هذا الحلف) يتنطّح من يتّهمك بأنّك تنفي مسؤوليّة الفساد اللبناني. لكنّ الفساد اللبناني لم يكن يوماً مقطوع الجذور مع الخارج. لم يُرسِ رفيق الحريري دعائم الاقتصاد الفاسد، من دون رعاية ودعم من دول الغرب والخليج والنظام السوري.

لقد فشلت الانتفاضة اللبنانية فشلاً ذريعاً (ويجب الاعتراف بذلك، وكلّ حديث عن «ثورة» وعن «ثوّار» يمكن أن يفيد في تسالي الهزل على مواقع التواصل). لم يُخدش حكم الطبقة الحاكمة التي تتمتّع برعاية خارجية (وحدها أمينة صندوق بلديّة حمّانا هي التي لا تتمتّع برقابة خارجية، ولهذا لم يجد القاضي علي إبراهيم أيّ حرج في ملاحقتها ومقاضاتها). والتنظيمات العديدة المتشعّبة التي تنطق باسم الحراك (حتى أنّ هناك تنظيمات تنطق باسم ضحايا تفجيرات المرفأ كأنّ التلاعب بمعاناة وآلام الضحايا بات جائزاً في الاستغلال السياسي)، تتجنّب حتميّة الربط بين شعار التغيير والسياسة الخارجية للبنان. هناك سكوت من جميع قوى الحراك (باستثناء تلك التي تجاهر بهدف وحيد هو نزع سلاح مقاومة إسرائيل) عن العلاقة العضويّة بين الإدارة الأميركية والقطاع المالي ـ المصرفي، ومعظم الطبقة الحاكمة. وعملُ الحراك كان محكوماً بضوابط ضيّقة من منظمات «إن. جي.أوز» التي باتت تشكّل ضابط الإيقاع لخطاب النخبة في كلّ العواصم العربيّة. هي التي قرّرت في لبنان أنّ زجاج المصارف ينزف دماً، وأنّ أذيّتها من الموانع، وهي التي قرّرت في تونس أنّ وعود تجريم التطبيع لا ضرورة لها، وهي التي أفتت في السودان بأنّ الرضوخ لإنذارٍ أميركي هو ضرورة حيويّة. وبقيت حركاتُ الحراك استعراضية، لا تشكّل خطراً على سلامة واستقرار النظام الحالي.

لو كانت هناك جدّية في تغيير النظام، لما رأيتَ هذا التراصّ لمنظّماتٍ تتوافق على ضوابط الخطاب الذي لا يُزعِج، لا أنظمة الخليج ولا دول الغرب، ولا حتى رياض سلامة. لبنان لم يكن بلداً ذا مزاج ثوري في تاريخه، وإن احتضن، بفضلٍ وجود المقاومة الفلسطينية، حركاتٍ ثوريّة. الأحزاب الشيوعية كانت تاريخيّاً إصلاحيّة في لبنان. وكما أميركا، المزاج العام في لبنان إصلاحي ومحافظ، وما جرى في لبنان، السنة الماضية، يؤكد ذلك. التغيير الثوري ممكن عبر أقليّة، لكن لم تنطلق أقليّة ثورية بعد، ليس من أثرٍ لوجودها. لم يبقَ من علي شعيب، إلّا شعارات على بعض جدران بيروت.

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

(مروان بو حيدر)

منظومة المحاصَصة خطر على الكيان!

سعد الله مزرعاني *

رغم تعاظم خسائر ومخاطر الأزمة الشاملة الراهنة، يتصاعد الصراع بين مكوّنات منظومة المحاصَصة الطائفية على الحصص، أي على السلطة بمعناها الشامل والجزئي، كذلك على السياسات والخيارات المحلّية والخارجية. هل الأمر مجرّد انعدام شعور بالمسؤولية الوطنية من قِبل ممثّلي تلك المكوّنات؟ هل هو إمعان في الاستخفاف بردود فعل وباحتجاجات المتضرّرين، وقد باتوا الأكثرية الساحقة من اللبنانيين. أم أنّ في الأمر، بالدرجة الأولى، شيئاً آخر؟ الاحتمال الأخير هذا، يتّصل، بنيوياً، بالنظام السياسي القائم الذي لم يعد قادراً على احتواء الصراعات وتوليد التسويات اللذين كانا يتمّان، بعد مخاضٍ دامٍ أحياناً، بالتكافل والتضامن ما بين القوى الداخلية من جهة، وبين مرجعياتها الخارجية من جهة ثانية.

يستطيع المرء، أيضاً، أن يطلق أحكاماً مبرَّرة، تؤكّدها معطيات تُضاف كلّ يوم، بأنّ الأزمة أبعد من أزمة نظام سياسي، إنّها أزمة كيان لم تتوفّر له، أصلاً، المقوّمات الضرورية للثبات والاستمرار. هذا أمرٌ يحتاج إلى نقاش معمّق ومسؤول، لتبيان عوامل الخلل والسعي لمعالجتها تداركاً للأسوأ. الأسوأ هذا قد يتمثّل في الانقسام والتقسيم والتشظّي: بالصراع والعنف والحرب الأهلية والتدخّلات الخارجية التي توجّهها، خصوصاً في هذه المرحلة، مصالح كبرى تدير الأساسي فيها واشنطن وتل أبيب. بيد أنّ طبيعة النظام السياسي الذي فُرض منذ إنشاء الكيان قبل مئة عام، قد لازمه، عموماً، سوء إدارة وفئوية، ومن ثمّ تبلوُر وترسُّخ وتوسُّع منظومة محاصَصة تداعت إلى نشوء دويلات على حساب الدولة، واستشراء النهب والفساد والتبعية السياسية... فكانت أزمة الانهيار العميقة والخطيرة والشاملة الراهنة.

ينبغي التذكير بأنّ إدارة «لبنان الكبير» قد أُسندت، منذ البداية، لممثلي طائفة بعينها كانت هي أيضاً، تتمتّع بالسيطرة على المواقع المؤثّرة في الاقتصاد والتجارة والأمن والقوات المسلّحة والقضاء والتربية والعلاقات الخارجية... وصيغت، في خدمة ذلك، منظومة أيديولوجية متكاملة حول «فرادة» لبنان وفرادة «صيغته». لم تصمد هذه الصيغة أمام اختبارات سياسية واجتماعية في لبنان والمنطقة، فكانت حرب 1958، بسبب جموح فئوي وربط لبنان بمعاهدات استعمارية، وحرب 1975 ـ 1990 بسبب جملة تناقضات داخلية وخارجية، كان للشأن الاجتماعي بعد السياسي والقومي والإقليمي دور مهمّ فيها.

انتهت الحرب الأهلية بتسوية «الطائف» التي انطوت على شقَّين. الأول، وقف الحرب الأهلية وفرض وصاية خارجية (مباشرة سورية) على لبنان. الثاني، إصلاح بمرحلة أولى مؤقتة، يعالج مسألة التفرّد بالسلطة عبر شراكة «المناصفة»، ومرحلة ثانية طويلة، عبر التقاسم الطائفي من خلال انتخاب مجلس نيابي خارج القيد الطائفي، مع استحداث «مجلس شيوخ» طائفي محدود الصلاحيات (المواد 22 و24 و95 من الدستور).

كانت سلطة رئيس الجمهورية، قبل «الطائف»، هي محور ومصدر القرار مؤسّساتياً. في مرحلة «المناصفة»، تولّت الإدارة السورية ممارسة سلطة القرار واقعياً. بعد خروج السوريين، عام 2005، من دون استكمال إصلاحات «الطائف»، وبعد اقتصارها على «المناصفة»، بات الشلل والتعطيل هما السائدان. ليس هذا فقط، بل إنّه تمَّ المضي في التقاسم الطائفي والمذهبي إلى حدود غير مسبوقة، عبر بلورة تقاليد وأعراف من نوع «الميثاقية» و«الثلث المعطّل» وحقّ النقض وحصرية المواقع وحتى بعض الوزارات...

بُتر «الطائف». طبعاً، تحكّمت بتطبيق بنوده أو بعدم تطبيقها، مصالح داخلية وخارجية: لبنانية وسورية وعربية وحتى أجنبية. موازين القوى الراجحة كلياً تقريباً، لمصلحة الأطراف المعادية للإصلاح، عطّلت البنود الإصلاحية التي كُرِّست في الدستور. حالياً، يجرى السعي لإلغائها نهائياً، كما هو الأمر بالنسبة للفريق العوني، قبل الرئاسة، وخصوصاً بعدها (كلمة الرئيس عون الأخيرة مثال على ما ذكرنا لجهة إعفاء النظام من المسؤولية وحصرها بأشخاص منافسين، ما جعلها، للأسف، بعيدة عن سلامة التوصيف والاستنتاج). مارس دوراً سلبياً، بهذا الشأن، عجزُ قوى التغيير الوطني عن أن تكون لاعباً مؤثراً، من خلال عدم توحّدها وتشكلها في تيار وطني ذي إطار وبرنامج وخطة عمل وممارسة.

رغم الإفلاس والانهيار، لا يزال فريق المحاصَصة يراوح في السياسات التي قادت إليهما ذاتها... تؤدّي كلّ التعديلات المقترَحة من قبل أطرافه إلى الإمعان في الشيء ذاته، أي إلى تكريس الخلل والفئوية والشلل والتعطيل، ولو تبدلت التوازنات الراهنة بحيث تُستعاد «امتيازات» طائفية سابقة، أو أن تتكرّس أعراف وممارسات فئوية على حساب الدولة ودورها وسلطتها، لحساب الدويلات والجماعات والمراكز الطائفية الدينية والدنيوية. كذلك، لم تتمكّن قوى التغيير، بدورها، كما أشرنا، من الارتقاء إلى مستوى ما طرحته الأزمة المخيفة الراهنة من تحدّيات، رغم النسبة الهائلة للمتضرّرين، ورغم انخراط مئات الآلاف منهم في نشاطات احتجاجية في الشوارع، خلال عام كامل!

لا بدّ لممارسة أيّ سلطة من موقع قرار. هذه العملية شرطٌ لازم لاتخاذ القرارات وتطبيقها. هي ما يسمى بالسلطة القاهرة أو القادرة. ولا بدَّ طبعاً، لكي تستقيم الأمور، من أن يكون هذا الموقع دستورياً، وبالتالي منبثقاً عن عملية ديموقراطية انتخابية يتساوى فيها المواطنون، من دون تمييز أو قمع أو منع أو حصرية. كلّ ما عدا ذلك، وخصوصاً المراوحة في مستنقع النظام الحالي، سيشكّل مجازفة ليس فقط بوحدة لبنان، بل وبوجوده أساساً. إنّ من الممكن الافتراض أنّ الخلل الكياني قابل للمعالجة، إذا توفرت صحة التوجّهات وسلامة الأساليب. لم يتوفّر للبنان، خلال المئوية الأول من ولادته، هذان الشرطان، لذلك يصبح كلّ خطر على النظام خطراً على الكيان نفسه. لا ننسى أبداً أنّ بعض هذه العملية لم يكن بريئاً. الربط بين النظام السياسي والكيان، كان شعاراً رفعه أولئك المستفيدون من الصيغة الطائفية لممارسة السلطة وللتحكّم برقاب اللبنانيين، سواءً في مرحلة «الغلبة»، أو في مرحلة «المناصفة» الممدّد لها خلافاً للمقتضى الوطني والنص الدستوري.

كان، ولا يزال، ربطُ الكيان بالنظام السياسي، الفاشل والمدمِّر، هو الخطر الأول على الكيان، خصوصاً في ظروف انبعاث مشاريع الهيمنة المتجددة على المنطقة، بوسائل السيطرة المباشرة والتفتيت والانقسام... من قِبل المستعمرين والصهاينة، والتي تستهدف خصوصاً، في لبنان، نجاحات شعبه في حقل المقاومة والتنوّع والتعلّق بالحرية...

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف

الخرطوم: نعم للصّلح... نعم للاعتراف... نعم للتفاوض

بانتظار انضمام السعودية، الذي بات قاب قوسين، يكون عقد التطبيع قد اكتمل، بما يرتضيه الرئيس الأميركي دونالد ترامب «إنجازاً» يخوض على أساسه ما تبقّى من أيام تسبق الانتخابات الرئاسية في الثالث من تشرين الثاني / نوفمبر. ولكن حتّى في حال تأخّر السعودية في القيام بهذه الخطوة، إلى ما بعد الانتخابات، كما يتوقّع البعض، فقد جاء إعلان السودان عن تطبيع علاقاته مع إسرائيل، في توقيته أمس، ليصبّ في المصلحة الانتخابية لترامب، من دون إغفال ما يحمله من تداعيات على المستوى الإقليمي، ولا سيّما أنّه ينقل ملف التطبيع إلى مسار مختلف، منبئاً بإخراجه من تحت عباءة الدول الخليجية، وتمدّده إلى دول أخرى في المنطقة. تمدّدٌ يوحي بأنّ الإدارة الأميركية تحثّ الخطى على أكثر من اتّجاه، مستغلّةً الأوضاع التي تمرّ بها العديد من الدول، كما يعني في الوقت نفسه توسّع محور تل أبيب - الرياض - واشنطن - أبو ظبي، على المستوى السوداني الداخلي. جاء قرار عبد الله حمدوك وعبد الفتاح البرهان ليضرب عرض الحائط بشرعيّتهما، وسط الاعتراضات التي واجهاها، ويواجهانها، إن كان من قبل أطياف مختلفة، أو من أطراف كان من المفترض أن تكون معنيّة، ولكن جرى إبعادها. كذلك، جاءت خطوتهما «اللئيمة» لتُسقط رمزية الخرطوم كعاصمة «اللاءات الثلاث»، المختصرة لقرار القمة العربية عام 1967، «لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض»

حضر صحافيون في المكتب البيضاوي اتصالاً هاتفياً بين ترامب ونيتنياهو وحمدوك، والبرهان (أ ف ب)

بحماسة بالغة، أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب، أمس، تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والسودان، مؤكداً أنّ البلدين أرسيا «السلام» بينهما، في ثالث خطوة مماثلة يقوم بها بلد عربي في غضون شهرين. وبحماسة أكبر، عقّب قائلاً إنّ خمس دول عربية أخرى على الأقل، بينها السعودية، ترغب في إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، مشيداً في الوقت ذاته بـ«انتصار كبير للسلام في العالم».

إعلان ترامب تلقّفته الخرطوم وتل أبيب، مباشرة، فأعلنت الأولى تطبيع علاقاتها مع إسرائيل و«إنهاء حالة العداء بينهما»، وفق ما جاء في بيان ثلاثي صادر عنها وعن واشنطن وتل أبيب، نقله التلفزيون الرسمي السوداني، ووصف الاتفاق بـ«التاريخي». وجاء في البيان المشترك: «اتفق القادة على بدء العلاقات الاقتصادية والتجارية». كما اتفقوا، وفق البيان، على «أن تجتمع الوفود في الأسابيع المقبلة للتفاوض بشأن اتفاقات التعاون في تلك المجالات وكذلك في مجال تكنولوجيا الزراعة والطيران وقضايا الهجرة وغيرها». وأشار البيان إلى «العزم على العمل معاً لبناء مستقبل أفضل وتعزيز قضية السلام في المنطقة». ورأى أنّ «هذا الاتفاق التاريخي هو شهادة على النهج الجريء والرؤية للقادة الأربعة»، في إشارة إلى الرئيس الأميركي دونالد ترامب ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، ورئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك، ورئيس المجلس الانتقالي السوداني عبد الفتاح البرهان.

> **أعلن البيت الأبيض أنّ ترامب سيسحب السودان من لائحة «الدول الراعية للإرهاب»**

بدوره، وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، تطبيع العلاقات مع السودان، بأنّه «تحوّل استثنائي». وقال، في بيان كتب بالعبرية: «يا له من تحوّل استثنائي! اليوم تقول الخرطوم نعم للسلام مع إسرائيل، نعم للاعتراف بإسرائيل ونعم للتطبيع مع إسرائيل»، في إشارة مبطّنة ومواجهة لـ«اللاءات الثلاث» التي صدرت عن قمة الجامعة العربية في الخرطوم، عقب حرب عام 1967، حين تبنّى الزعماء العرب قراراً «لا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض» مع الدولة العبرية. وقال نتنياهو متوجّهاً إلى ترامب: «توسّع دائرة السلام بهذه السرعة بفضل قيادتك». كذلك، أضاف إنّ «وفوداً من السودان وإسرائيل ستجتمع قريباً لمناقشة التعاون في مجالات عدّة، وخصوصاً الزراعة والتجارة ومجالات أخرى مهمة».

احتفاء الرئيس الأميركي بالتطبيع بين البلدين، جاء هذه المرّة ناقصاً مقارنة باحتفالي التطبيع السابقَين، إذ حضر صحافيون في المكتب البيضاوي اتصالاً هاتفياً بينه وبين نتنياهو وحمدوك، والبرهان. لكنّ ترامب، الذي يواجه منذ فترة تراجعاً في شعبيته، بحسب استطلاعات الرأي، لم يضيّع الفرصة من دون تضخيم الخطوة التي يقوم بها، إذ أكّد أنّ «العديد والعديد» من الاتفاقات الأخرى قادمة، مشدّداً على أنّ «السعودية لن تتخلّف عن ركب السلام مع إسرائيل». وجاء ذلك في وقت غرّد فيه المتحدث باسم البيت الأبيض جود ديري، عبر موقع «تويتر» بالقول: «أعلن الرئيس (ترامب) أنّ السودان وإسرائيل توافقا على تطبيع العلاقات بينهما، في خطوة كبيرة جديدة نحو السلام في الشرق الأوسط». كذلك، غرّد الرئيس الأميركي: «إنه انتصار ضخم للولايات المتحدة وللسلام في العالم». وأضاف: «وافق السودان على اتفاق سلام وتطبيع مع إسرائيل! مع الإمارات العربية المتحدة والبحرين، ثلاث دول في بضعة أسابيع. دول أخرى ستلي».

وقبل وقت قصير على التصريح عن تطبيع العلاقات، أعلن البيت الأبيض أنّ ترامب سيسحب السودان من لائحة «الدول الراعية للإرهاب». وقال بيان صادر عن البيت الأبيض إنّ الرئيس الأميركي «أبلغ الكونغرس بنيّته التراجع رسمياً عن تحديد السودان كدولة راعية للإرهاب»، واصفاً الأمر بأنه «لحظة بالغة الأهمية» للسودان وللعلاقات بين الخرطوم وواشنطن. وأوضح البيان أنّ السلطات الانتقالية في السودان سدّدت مبلغ 335 مليون دولار في إطار اتفاق لتعويض أميركيين، ضحايا اعتداءات وقعت خلال حكم الرئيس عمر البشير الذي استمر ثلاثين عاماً.

وحكم القضاء الأميركي على السودان بدفع هذه التعويضات، بعدما اتهم البلد بدعم جهاديين فجروا السفارتين الأميركيتين في كينيا وتنزانيا، ما أدى إلى مقتل 224 شخصاً وجرح نحو خمسة آلاف آخرين. وفي هذا الإطار، أفاد مكتب حمدوك، في بيان، بأنّ قرار إزالة السودان عن اللائحة الأميركية للإرهاب «فتح الباب واسعاً لعودة السودان المستحقّة إلى المجتمع الدولي والنظام المالي والمصرفي العالمي والاستثمارات الإقليمية والدولية».

لكن الواضح أنّ الأسباب التي دفعت السودان إلى القبول باتفاق لتطبيع العلاقات مع إسرائيل تكمن في الوضع الاقتصادي المزري الذي يعانيه والمرتبط بشكل كبير بالعقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة عليه. ومن هذا المنطلق، ذكر البيان الصادر عن الخرطوم أنّ الولايات المتحدة ستساعد السودان في «تقليل أعباء ديونه»، بما في ذلك دفع النقاشات مع شركائها الدوليين «حول الإعفاء من الديون». إلّا أنّه يُخشى من أن يؤدي هذا الإعلان إلى زعزعة الاتفاق السياسي الذي تحكم بموجبه الحكومة الانتقالية، إذ إنّ أصواتاً معارضة ارتفعت منذ أن اتّضح مسار التطبيع. ومن أبرز المعارضين رئيس حزب «الأمة» الإسلامي الصادق المهدي، الذي يعدّ من أبرز داعمي الحكومة. وقد هدّد بسحب دعمه للحكومة إذا تمّ التطبيع.

(الأخبار)

ترقّبٌ لردّ فعل الشارع ومخاوف من عنف السلطة

اعتبر مصدر أنّ قضية التطبيع معقّدة لا يمكن تمريرها بسهولة لدى الشارع (أ ف ب)

الخرطوم ــ مي علي

وسط تكتّم غير مبرّر، مضت الحكومة السودانية، بشقّيها المدني والعسكري، نحو استكمال ملف تطبيع العلاقات مع تل أبيب، بالرغم من أنّ الجانب الإسرائيلي كان قد تكفّل، أول من أمس، بالكشف عن طائرة إسرائيلية حطّت في مطار الخرطوم، تحمل على متنها مستشارين إسرائيليين وأميركيين، لمناقشة مسائل فنية تتعلّق بملف التطبيع.

لم يمنع ما تقدّم الحكومة السودانية من التزام الصمت إزاء التصريحات الصادرة عن الجانب الآخر، إذ واصلت التصرّف كأنّ الأمر لا يعنيها، في ما عدا التصريحات المنسوبة لرئيس مجلس الوزراء عبدالله حمدوك عن أنّ قضية التطبيع يضطلع بها المجلس التشريعي. وبحسب مصدر مطلع، تحدث إلى «الأخبار»، فقد قابل الوفد الإسرائيلي، خلال زيارته الخرطوم، التي امتدّت لسبع ساعات، كلّاً من حمدوك، ورئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان، في اجتماع مشترك، اتّفق الجانبان خلاله على بدء الحوار مع إسرائيل وإقامة علاقات ثنائية بينها وبين السودان، بعد صدور الأمر التنفيذي من الولايات المتحدة، الذي بموجبه يتمّ رفع اسم السودان من قائمة الإرهاب. ووفق المصدر، فإنّ العلاقات بين البلدين ستبدأ في شكل اتفاقيات وتفاهمات مشتركة «ستكون الاتفاقيات تجارية اقتصادية في مجملها، كالتوقيع على اتفاق مع الطيران المدني والاستفادة من التقنيات الزراعية الإسرائيلية، وليس تطبيعاً كاملاً»، مضيفاً «لن يتمّ في المرحلة الحالية تبادل للسفراء أو إقامة سفارات في البلدين». وبرّر المصدر حصر العلاقات مع إسرائيل في هذا الحيّز، بأنّ قضية التطبيع معقّدة لا يمكن تمريرها بسهولة لدى الشارع، ولا سيما في ظلّ غياب البرلمان. واستطرد موضحاً أنّ الجانب السوداني أخبر الوفد الإسرائيلي بأنّ السودان لا يصنّف إسرائيل على أنّها دولة معادية. حتّى إنّ محلّلين يذهبون إلى اعتبار هذا الاعتراف، الصادر من الخرطوم ــ عاصمة اللاءات الثلاث ـ ربما جاء بطلب من الجانب الإسرائيلي، علّه يستفيد من تلك الرمزية لتحفيز دول عربية أخرى على التطبيع.

في هذه الأثناء، عاب مراقبون على الحكومة ضربها سياجاً من السرية حول مسار التفاوض مع الجانب الإسرائيلي. برأيهم، هي تخشى من ردّ فعل الشارع، ولا سيما أنّ أسهمها لديه في حالة انخفاض. ولا يستبعد هؤلاء المراقبون، في الوقت ذاته، أن تؤدّي حالة عدم الشفافية، في قضايا مصيرية مماثلة، إلى ازدياد الأصوات المناوئة للحكومة، وإن كانت غير معارضة لعملية التطبيع بحدّ ذاتها. وفي السياق، أكد حزب «البعث العربي» أنه سيقوم بتسخير أدواته لمعارضة التطبيع، مشدّداً على أنّ كلّ الخيارات مفتوحة، في حال مضي الحكومة في هذه القضية، بما في ذلك العمل على إسقاطها. وقال القيادي في الحزب فتحي نوري عباس: «موقفنا واضح ومعلن، نحن ضدّ التطبيع وهو موقف مبدئي، والتطبيع ضدّ إرادة الشعب، ولا بدّ من التصدّي له، ولو بذلنا في سبيل ذلك المُهَج». وعزا عباس عدم شفافية الحكومة بشأن ما يجري داخل الغرف المغلقة في ما يتعلّق بملف التطبيع، إلى خوفها من ردّ فعل الشارع، مؤكداً أنّهم «يدركون حجم ردّ فعل الشارع، في حال الإعلان عن التطبيع مع إسرائيل». ولكن أكثر ما يخشاه المتابعون، في هذا الإطار، هو مقابلة السلطة للشارع بالعنف المفرط، ولا سيما أنّ البلاد تعاني، في الأساس، من هشاشة أمنية، ما يجعل من احتمال وقوع ضحايا أمراً متوقّعاً.

> **بدا رئيس الوزراء كأنه يدير ملف التطبيع بعيداً عن حاضنته السياسية**

بدوره، بدا رئيس الوزراء كأنه يدير ملف التطبيع، بعيداً عن حاضنته السياسية وعن الجهاز التنفيذي للدولة، وقريباً من مجلس السيادة، ولا سيّما المكوّن العسكري منه. فعلى الرغم من كونه أحد مكوّنات ائتلاف «الحرية والتغيير»، لم يتم إبلاغ حزب «البعث» بما جرى خلال زيارة الوفد الإسرائيلي، وذلك وفق فتحي عباس.

تل أبيب: اليوم السودان... وغداً السعودية

يحيى دبوق

قطار التطبيع العربي مع العدو الإسرائيلي لا يتوقّف. الحكّام العرب يقفون في الصف: قبل أسابيع، كانت الإمارات والبحرين، وأمس السودان، فيما يتوقّع «الوسيط» الأميركي عدداً أخرَ من الأنظمة، من بينها السعودية التي تنتظر الرئيس الأميركي الجديد، بحسب تقدير الموساد، لتتقرّب إليه عبر إخراج تقرّبها من إسرائيل إلى العلن.

إذاً هو السودان، ومن ثمّ السعودية، وبينهما وتعقبهما دول عربية أخرى، قدّر السفير الأميركي في إسرائيل، ديفيد فريدمان، أنّ عددها سيكون بين خمس وعشر. وهو واقعٌ يتوافق مع ما كان يعد به رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، بقوله إنّ ما يحدث مع الدول العربية شيءٌ لم يكن يتخيّله أحد.

إلّا أنّ إسرائيل، في المقابل، ومع احتفالها المتواصل بتراكض الأنظمة العربية للتطبيع معها، تُدرك أنّها تقيم علاقات وتحالفات مع أنظمة، لا مع شعوب، والفرق بين الاتجاهين شاسعٌ جداً. في الاتجاه الأول، «التطبيع» مبنيّ على مواقف ومصالح حكّام هم عرضة، كما مواقفهم ومصالحهم، للتبدّل وفق متغيّرات داخلية وخارجية وتبدّل موازين ومعادلات إقليمية ودولية، من شأنها إيقاف أو فرملة أو حتى إلغاء تحالفات إسرائيل الجديدة.

> **شهدت السنوات الثلاث الأخيرة لقاءات سرية مع مسؤولين من الخرطوم**

وفقاً لتعليقات عبرية وردت في صحيفة «جيروزاليم بوست»، فإنّ «المعاهدات الجديدة التي أبرمتها إسرائيل مع الإمارات والبحرين، فضلاً عن المعاهدات التي مضى عليها عقود مع الأردن ومصر، لم تأتِ نتيجة صداقة بين الشعوب، بل هي تحالفات استراتيجية بين الحكومات والأنظمة». ووفقاً للتعليق نفسه، «كان من شأن إقامة دولة كردستان أن توفّر لإسرائيل شيئاً ليس لديها في المنطقة: صديقٌ حقيقي. وذلك بغضّ النظر عن كيفية هبوب الرياح في اليوم الذي يلي». في إشارة إلى تغييرات قد تطرأ على الأنظمة، أو تطرأ على الراعي الأميركي، تطيح المعاهدات الموقّعة معها.

التعبير عن هذه الخشية ورد أيضاً في تقرير صحيفة «إسرائيل اليوم»، التي استحضرت سيناريو العلاقات الموريتانية مع إسرائيل، في سياق تعليقها على التطبيع مع السودان، وتساءلت إن كان هذا السيناريو سيتكرّر، قائلة: «السودان الذي يتّجه للتوقيع معنا (على اتفاق سلام) هو بلد ضخم في طور تغيير هويته، وأن يتحوّل إلى دولة أقل عربية وأكثر أفريقية، لكن ما زالت الخشية موجودة من تكرار سيناريو موريتانيا، الدولة الصحراوية التي كانت لإسرائيل علاقات معها، إلى أن وقع الانقلاب فيها. فالسودان دولة لم تستقر بعد».

هل يمكن أن يحدث ذلك؟ التحسُّب الإسرائيلي موجود بطبيعة الحال، وترى تقديرات العدو أنه واردٌ ضمن دائرة الفرضيات المعقولة. لكن إلى أن تواجه هذا التحدّي لاحقاً، أو لا تواجهه بحسب فرضيات أخرى، تتطلّع تل أبيب إلى الاستفادة القصوى من علاقاتها مع الأنظمة العربية من جرّاء التطبيع والاختلاف معها، وذلك في أكثر من اتجاه، لا يرتبط فقط بالفضاء السياسي البيني مع الأنظمة، بل بمجالات أمنية وعسكرية واقتصادية ونفوذ إقليمي، هي في مقدّمة الأهداف الإسرائيلية.

واستباقاً للتوقيع الذي حصل أمس بين إسرائيل والسودان، عبّر مصدر أمني إسرائيلي رفيع المستوى، في حديث إلى «قناة 12» العبرية، عن توقّعه بأن يستمر مسار توقيع الاتفاقات بين إسرائيل ودول عديدة في الشرق الأوسط. وإذ أشار إلى أنّ الاتفاق مع السودان سيُعلن خلال أيام، فقد لفت إلى أنّ الاتفاق مع السعودية يسير، أيضاً، بمسار مشابه.

وعلى غرار العلاقات والاتصالات التي سبقت إعلان الاتفاقات مع الإمارات والبحرين، كشفت تل أبيب، أمس، أن الاتصالات مع السودان شهدت في السنوات الثلاث الأخيرة اجتماعات ولقاءات سرية مع مسؤولين من الخرطوم مهّدت، إلى جانب المساعدة والضغط من واشنطن وأبو ظبي، لتقريب إعلان التطبيع على المسار السوداني. وهو ما أكده مصدر أمني إسرائيلي رفيع المستوى، في حديث إلى صحيفة «يديعوت أحرونوت»، لافتاً إلى أنّ «الفوائد الاستراتيجية للسلام مع السودان، ترتبط بالمعركة القائمة مع العدو الإيراني وإمكان تقليص نفوذه وحضوره في المنطقة، وإضراره بالأمن الإسرائيلي».

وزير الأمن الإسرائيلي، بني غانتس، أشار أيضاً إلى فائدة ووظيفة اتفاقات التطبيع مع الدول العربية في مواجهة إيران، وقال: «نحن ندخل حقبة تطبيع في الشرق الأوسط يمكن أن تساعد في مواجهة العدوان الإيراني في المنطقة. ومع الولايات المتحدة، وصداقاتنا القديمة والجديدة، سنضمن تعاوناً مثمراً».

وفي تظهير لموقف إسرائيل من تزويد الدول العربية (التطبيعية) بسلاح أميركي نوعي كانت تعارضه سابقاً، نقلت صحيفة «معاريف» عن مصدر أمني إسرائيلي رفيع المستوى رافق غانتس في زيارته الأخيرة لواشنطن، قوله إنّه في إطار اتفاقيات السلام الموقّعة أخيراً، ستشهد المنطقة صفقات تسليح أميركية إضافية، و«من نواح كثيرة، من الأفضل أن تكون أميركا هي التي تبيع السلاح في منطقة الخليج، لا دول أخرى». وبحسب المصدر نفسه، فإنّ صفقات السلاح ستأتي بعد توقيع اتفاقيات سلام إضافية بين إسرائيل ودول عربية أخرى. وشدّد، في المقابل، على أنّ «الأميركيين سيحافظون على التفوّق الإسرائيلي في الشرق الأوسط، رغم اتفاقيات التسليح الجارية، فلهذه الدول (العربية) كثير من المال والمصالح، لتطوير جيوشها».

تقرير

الليبيّون يتفقون على وقف دائم للنار: انتهت الحرب؟

أخيراً أُعلن توافق ليبي على وقف دائم لإطلاق النار بين «الوفاق الوطني» وقوات خليفة حفتر، بمشاركة من رئيس البرلمان. خلاصة انتهت إليها المفاوضات في مسار جنيف، وسط ترحيب دولي وعربي... وتشكيك تركي في التنفيذ. فهل يعني ذلك أن الحرب انتهت؟

نظرياً انتهى الصراع على السلطة بعد «سجال عسكري» لـ18 شهراً أنهك الطرفين بصورة كبيرة (أ ف ب)

اختُتمت المفاوضات المكثّفة لـ«اللجنة العسكرية المشتركة 5+5» باتفاق وُصف بالتاريخي ويقضي بوقف إطلاق النار بين الأطراف الليبية المشاركة في الصراع المسلح، حكومة «الوفاق الوطني» وقوات المشير خليفة حفتر المسماة «الجيش الوطني»، وذلك بحضور رئيس البرلمان الليبي، عقيلة صالح. هذه المفاوضات التي استمرت خمسة أيام برعاية أممية في جنيف بين أوساط مؤيديهم جراء تردي الأوضاع ونقص الخدمات الأساسية في المناطق التي سيطروا عليها. هذا الإنهاك والضغوط المختلفة إقليمياً ودولياً دفعت كما يبدو إلى التوافق الذي تمّ أمس، خاصة مع مجهودات كبيرة بذلتها الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا بالإنابة، ستيفاني وليامز، التي طافت دولاً ذات علاقة بالحرب الليبية قبل جلسة المباحثات التي حقّقت نتائج سريعة.

في المبدأ، تبدو تفاصيل الاتفاق مثمرة لجميع الأطراف، فللمرة الأولى منذ نحو عامين ستعود حرية التنقل في البلاد بين مختلف المناطق مع تقديم الدعم إلى الجنوب وسكانه الذين يعانون من أوضاع إنسانية صعبة فضلاً عن الاتفاق على وقف التراشق الإعلامي وحملات التخوين، كما صار مسموحاً بحرية الطيران مع وقف أي أعمال عسكرية على الأرض. أيضاً اتفق الفرقاء على استئناف تصدير النفط بآلية تنسيق محلية عبر منسقي المنطقتين الشرقية والغربية على أن يكون هناك دور لأمري حرس المنشآت النفطية الذين سيتواصلون مباشرة مع مندوب «المؤسسة الوطنية للنفط» في المرحلة الأولى ثم ستعقبها هيكلة هذا الحرس. وخلال الأيام المقبلة، سيتم الاتفاق على آليات تبادل الأسرى والمصابين والتفاصيل الأمنية المتعلقة بالمنطقة الوسطى التي يجب أن ينسحب منها العسكريون بأسلحتهم الثقيلة بغضّ النظر عن انتماءاتهم، وهو ما سيقلّل الضغوط على الأطراف المتحاربة، علماً أن هذه القضايا ليست عالقة وإنما شبه محسومة في تفاصيلها ولا تحتاج سوى الرجوع إلى قيادات كل فريق في ما يُعرف باسم «مجالس الحكماء» التي ستصبغ الآليات والأسماء مع حصر كامل لجميع المحتجزين. والملاحظ أن معظم ما اتفق عليه هو فعلياً ما تمّ اعتماده في لقاء الغردقة المغلق الذي استضافته مصر الشهر الماضي، كما تنقل مصادر مصرية مواكبة.

> **حُسمت غالبية التفاصيل عدا مصير المرتزقة الذي يبقى لغماً قابلاً للانفجار**

أما نقطة الخلاف الرئيسية، فهي كيفية التخلص من المرتزقة الخارجيين في غضون ثلاثة أشهر، المهلة التي اتفق عليها الطرفان، إذ إن مصير أكثر من عشرة آلاف مرتزق لم يُحسم بعد. وما لم يكشفه الاتفاق أمس هو الخلاف على مصيرهم وكيفية التعامل معهم. فعلى صعيد ردود الأفعال، لم يخفِ الترحيب العربي والدولي بالاتفاق القلقَ التركي الواقعي إلى حد ما من آلية التنفيذ، صحيح أن الهدنة العسكرية مستمرة منذ أسابيع أصلاً بموجب استجابة حكومة السراج لوقف النار الشهر الماضي، لكن الأزمة الحقيقية التي تواجه الاتفاق راهناً هي آلية التعامل مع المرتزقة سواء في إخراجهم أو توظيفهم في الداخل الليبي. وهنا ترفض قوات حفتر قطعاً توظيفهم في القوى الأمنية والعسكرية على أن هذا الأمر حق لليبيين دون غيرهم، في حين أن «الوفاق» تجد صعوبة في حسم صيغة بشأنهم ولا سيما مع استحالة إعادتهم إلى تركيا. وحالياً ثمة أفكار عدة بينها توظيفهم في قطاعات العمل والإنشاء في الشركات الليبية برواتب مجزية كحل وسط لكن مع نزع سلاحهم. وتبدو هذه الفكرة أكثر قبولاً لدى قوات حفتر التي تطرح أفكاراً أخرى، العامل المشترك في غالبيتها التوافق على استبعاد بعض القيادات الخطيرة من البلاد، لتبقى هذه المسألة لغماً سيكون قابلاً للانفجار في أي لحظة. (الأخبار)

مصر

آخر ابتكارات السيسي: تأميم القطاع العقاري!

محاولة جديدة يريد بها النظام المصري إجبار المواطنين على شراء ما يقدمه. وهذه المرة في العقارات. بعد آلاف الوحدات غير المأهولة التي بنتها الدولة بما يفوق احتياجات السوق وتسببت في ركود عقاري غير مسبوق. تريد الآن إجبار المواطنين على شراء هذه الوحدات بطريقة مبتكرة!

القاهرة ـ **جلال خيرت**

رغم معاناة قطاع العقارات في مصر من حالة ركود على مدار العامين الماضيين، يواصل النظام خطواته القاسية من جرّاء خططه غير المدروسة جيداً، ويلجأ إلى فرض سياسة الأمر الواقع عبر منع المواطنين من بناء منازلهم من دون اشتراطات حكومية لن يُسمح بها من الأساس. هكذا، يكتمل المشهد المأسوي لتراجع القدرة الشرائية للمواطنين والزيادة المطردة في أسعار العقارات منذ رفع الحكومة أسعار الوحدات التي تبنيها، وهي الزيادات التي جاءت بتوجيهات مباشرة من الرئيس عبد الفتاح السيسي. وفي خضم جمع الدولة للأموال عن العقارات المخالفة التي بُنيت منذ أكثر من 12 عاماً في حملة أطلقتها الحكومة بقانون وافق عليه البرلمان، ظهرت سياسة جديدة مرتبطة بما وصفته الحكومة بـ«تخطيط النسق العمراني» الذي سيوقف البناء في مئات المناطق، كما سيقيّد عملية إعادة البناء لتكون وفق شروط وضوابط ستجعل البناء خسارة لأصحابه.

صحيح أن أسعار الأراضي زادت بصورة كبيرة في السنوات الأخيرة ارتباطاً بالتراخيص الهندسية التي سمحت ببناء عدد من الأبراج السكنية المرتفعة، لكن ما يعمد إليه النظام حالياً يرتبط بالسعي إلى وقف البناء السكني في الأحياء مقابل التوسّع في المدن الجديدة، لكن وفق الاشتراطات المحددة سلفاً من الحكومة. والأخيرة فرضت مجموعة قيود هدفها دفع المواطنين إلى وقف البناء وشراء مساكنها، ومنها تحديد الطوابق المسموح ببنائها وأيضاً توسيع المساحات التي يفترض تركها بين كل عقار وآخر، إضافة إلى وضع قيود على استعمال البناء بغرض السكن لمصلحة الأنشطة التجارية (كالمكاتب أو العيادات) وفق ضوابط صارمة، وهو ما يزيد من الأسعار بصورة جنونية، ولا سيما في المناطق المأهولة بالسكان في قلب القاهرة الكبرى.

في سبيل ذلك، تفرض الحكومة سيطرتها ليس على أراضي الدولة فقط بل على الأملاك الخاصة للأشخاص، وهي في الوقت الذي أوقفت فيه بناء السكان والشركات الخاصة بصورة شبه كاملة منذ أشهر، تسارع في تنفيذ آلاف الوحدات السكنية وتخصيص مزيد من الأراضي عبر وزارة الإسكان التي تطرح أراضي متميزة وأكثر تميزاً بأسعار باهظة مقارنة بمواقعها. لكن الصورة التي تحاول الحكومة عرضها للرأي العام وإقناعها به هو أن هذه التحركات هدفها ضمان التخطيط العمراني السليم لأي وحدة سكنية مع مراعاة الكثافة السكانية في كل منطقة والواجهة الحضارية للعقارات، وأنها لهذا السبب حددت مجموعة تصميمات كنماذج لأي بناء جديد، كما قررت سحب آلاف الأراضي التي لا يستغلها أصحابها كي تديرها بالنيابة عنهم! حتى الآن، تبدو مسألة سحب الأراضي غير مطروحة إعلامياً بصورة كافية، تجنّباً لإثارة الجدل، خاصة أن هناك أكثر من مقترح في الحكومة للتعامل مع هذه القضية من دون إثارة غضب شعبي، لأن الهدف هو نزع ملكية هذه الأراضي تحت عنوان المنفعة العامة، مع دراسة تعويض أصحاب الأراضي مالياً أو بتوفير أراضٍ بديلة في المدن الجديدة.

> **تجري العملية بخطوات متنوعة جزء منها غير معلن حتى لا يثور الناس**

سيُجبر من يريد البناء على التزام التصميمات التي تقدمها الحكومة حصراً (أي بي أيه)

أما خطة الحكومة لوقف البناء الكامل في أنحاء مصر كافة إلا تبعاً للتصميمات الحكومية حصراً، فنزعت جزءاً رئيسياً من حقوق المالك الأصلي في استغلال الأراضي بالطريقة التي تناسب طريقة بنائه، وهو أمر سيثير جدلاً خاصة في الصعيد (جنوب)، الأمر الذي سيجبر الحكومة على دراسة مقترحات جديدة بشأن البناء في القرى والمراكز الريفية التي يختلف تصميم المباني فيها كلياً عن المدن الكبرى. لكن المحصلة واحدة، لأن جزءاً من خطة الحكومة قائم على إجبار المواطنين على شراء أو استئجار الوحدات في المدن الجديدة التي باتت شاغرة بسبب تنفيذ ما يفوق القدرة الاستيعابية، فضلاً عن المتغيرات في كلفة المواصلات بالانتقال منها وإليها، إذ زادت أكثر من خمسة أضعاف في سنوات قليلة، ما يدفع المواطنين إلى إعادة النظر في جدوى الإقامة فيها أو حتى شرائها، ولا سيما مع ارتفاع أسعارها وتقديم القطاع الخاص أسعار وحدات أقل من الحكومية ودون مشكلات الأخيرة. ويمكن القول إن الحكومة وضعت قطاع العقارات قيد التأميم غير المعلن بتوجيه من السيسي، وذلك بعدما سيطرت عليه واحتكرته لسنوات طويلة، ووضعت صعوبات كبيرة لم تعد تعيق رجال الأعمال وكبار المطورين العقاريين فقط بل تطاول الآن المواطن العادي.

وفيات

انتقل إلى رحمة الله تعالى المرحوم
الحاج عدلي علي جعفر
زوجته: مريانا شور
ابنه: علي
بناته: ميرنا، عليا زوجة عباس زين وزينب
أشقاؤه: شوقي، حبيب، المرحوم الحاج نشأت ورمزي
شقيقاته: لبنى، ناهد ودينا
صلي على جثمانه الطاهر يوم الأربعاء 21 الجاري ووري الثرى في جبانة بلدته جويا.
بسبب الأوضاع الصحية الراهنة نعتذر عن استقبال التعازي ونرجو ممن عرفه أن يذكره بصلواته ويدعو له بالمغفرة والرحمة.
الآسفون: آل جعفر، زين، شور وعموم أهالي بلدة جويا

مبوب

مطلوب

مطلوب معلم فحم للعمل في نيجيريا. الخبرة ضرورية. للاتصال 76/400980

Needed for Nigeria. Business graduated employee with 5 years of experience in accounting. Send cv to: wassimtaleb@live.com

خرج ولم يعد

غادرت العاملة
Zebiba hassen adem
من التابعية الاثيوبية من منزل مخدومها الرجاء ممن يجدها الاتصال على الرقم 03/850099

غادرت العاملة
MAVIS DANKWAH
من التابعية الغانية من منزل مخدومها الرجاء ممن يجدها الاتصال على الرقم 71/560584

www.al-akhbar.com
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
الأخبار
al-akhbar
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأنه قد تم تعديل مهلة تقديم العروض لتنظيف جور غسيل المراجل في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4/1005 تاريخ 2020/1/3 لتصبح يوم الجمعة 2020/11/20 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 20 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 20/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة افضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 20 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه طريق النهر.
بيروت في 2020/10/19
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1029

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأنه قد تم تعديل مهلة تقديم العروض لإعداد تقرير تدقيق لمعلمي المجموعات البخارية ومعملي المحركات العكسية في معملي الذوق والجية، موضوع استدراج العروض رقم ث4/3715 تاريخ 2020/6/5 لتصبح يوم الجمعة 2020/11/13 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور اعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان ـ أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 20 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100/ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة افضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان ـ في الغرفة المسبقة الصنع رقم 20 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2020/10/19
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 1027

إعلان
من أمانه السجل العقاري في بيروت
طلبت فريال عبد الرحمن شهاب سندات تمليك بدل عن ضائع عن صحتها بالأرقام 12 و14 و15 من العقار 2656 مزرعة.
للمعترض مراجعه الأمانه خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب خالد عبد الرحمن عباس بالوكالة سند بدل ضائع عبد الحليم محمود الدهيبي وعبد القادر محمود الدهيبي بالعقار 338 دير عمار.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب بولس حنا الحكيم بالوكاله عن أحد ورثة خليل سعود وطانيوس وتوما وجورجيت الخوري وطانيوس سعود سندات بدل ضائع للعقارات 26 و187 و189 و192 و560 النخله.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت دلال الخوري انطونيوس الحكيم بالوكاله عن بارتا سليم جرجس سند بدل ضائع للعقار 21 كفيفان.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب فكتار نجيب نعمه بموجب عقد بيع عن عثليا الخوري ويولا مالك سندات بدل ضائع للعقار 1942 و1969 و1972 و1987 و1918 و1993 و1914 بطرام.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلب عزام الحلبي لموكلته آنا حنا رومانوس سند بدل ضائع في العقار 4778/ المقسم 18 زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري الأولى في الشمال
طلبت زبيدة فؤاد حمد بالاصالة عن نفسها سند بدل ضائع في العقار 5496/ المقسم 8 زيتون طرابلس.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت دلال الخوري انطونيوس الحكيم بالوكاله عن احد ورثة حبيب سمعان فريفر سند بدل ضائع للعقار 45 هربونا.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب بولس حنا الحكيم بالوكاله عن اكات جبرايل طعمه سند بدل ضائع للعقار 468 مارماما.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلب حميد جان هدوان بالوكاله عن جمال انطونيوس دبو سندات بدل ضائع للعقارات 232 و235 و377 و803 داريا.
للمعترض 15 عشر يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري

إعلان
صادر عن أمانة السجل الأولى في الشمال
طلب عاطف محمد كسوراني بصفته احد ورثة جمال كنج محمد بو كنج زوجة محمد الكسرواني هي نفسها جمال كنج الكنج وجمال كنج أبو كنج حسب إفادة توحيد الإسم سندات بدل عن ضائع من العقارات 636 و638 و1341 منطقة سير.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري بالتكليف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلبت نجاة يوسف عطوي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 6656 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

REPUBLIC OF LEBANON
ELECTRICITE DU LIBAN (EDL)
INVITATION TO BID FOR THE CONSTRUCTION, IMPLEMENTATION, AND
THE POST IMPLEMENTATION OF A CENTRAL AMI SYSTEM

The Electricité du Liban (EDL) intends to have a contract with an International prospective AMI Contractor for the work described below through a competitive bidding process that is in general compliance with the guidelines of the Owner.
The scope of work is to provide services necessary for the design, engineering supply, installation, testing commissioning implementation, managing reporting, and operating / maintaining of activities related to implementing the Central Advanced Metering Infrastructure (AMI) System «Head End (HE). Meter Data Management (MDM). Billing and Customer Relationship Management (CRM)» for the Main Center and the disaster recovery.
The cost of the services will be financed by either EDL or the World Bank. Bidding documents will be again available for collection at EDL offices (address shown below) during official working hours, starting October 19,2020, upon payment of the sum of Five hundred thousand LEBANESE
POUNDS (500,000 LBP)
ELECTRICITE DU LIBAN
Prefabricated cell No. 20
Newly installed on the West Side of the EDL Central Building
Within its Headquarter in Beirut,
RUE DU FLEUVE
P.O.BOX 131, BEIRUT
LEBANON
PHONE: 961-1-442720 - 442729
FAX: 961-1-583084
In order to be considered for inclusion in the Bidding, firms should return the documents to EDL
offices at the above mentioned address not later than the end of official working hours (Beirut
local time) on December 4, 2020 (previously set on August 28, 2020) before 11:00 a.m at the
latest, duly completed and accompanied by the required supporting material.
Any clarification related to the bidding documents can be submitted in writing to the address mentioned above before November 2, 2020. Please note that it is mandatory to submit your clarifications in hard and electronic copy (Microsoft excel format).
20 تشرين الأول 2020
التكليف 1039

الأخبار
al-akhbar
السبت 24 تشرين الأول 2020 العدد 4182

صورة وخبر

إلغاء «مهرجان أفينيون المسرحي» العريق هذا الصيف على خلفية جائحة كورونا، لم يمنع منظّمي الحدث الفرنسي من إطلاق «أسبوع الفن» (المسرحي) أمس، ليستمرّ حتى نهاية الشهر الحالي. على البرنامج سبعة عروض من بينها «طبك من حرير» (إخراج وأداء كاووري ايتو ويوشي اويدا) الذي تؤدّيه الممثلة والراقصة اليابانية كاووري ايتو. العرض الراقص مستلهَم من إحدى كلاسيكيات مسرح الـ Nô الياباني، يقدّم حبكة شاعرية وفريدة عن حكاية عالمية تتعلّق بالإغراء (كريستوف سيمون ــ أف ب)

مهرجان «ريف» يوزّع جوائزه

اختتمت الدورة الثانية من مهرجان «ريف» الذي توزّعت عروضه بين منصة «أفلامنا» ومرج بسري. وكان القائمون قد أطلقوا مسابقة للشباب اللبناني بهدف إنتاج أفلام قصيرة تترجم مشاعرهم، وانعكاس أزمة كورونا على يوميّاتهم. وعليه، منحت لجنة التحكيم المؤلّفة من الممثلة كارول عبود، والفنانة ريما خشيش، والمخرج أحمد غصين جائزتين، بينما منح تصويت الجمهور الجائزة الثالثة. واختارت اللجنة «كوكب مّيت» (الصورة) لرافي طنوس كأفضل فيلم لـ «تميّزه بلغته السينمائية المتينة والتعبير السرديّ القوي لما نمرّ به في زمن الجائحة». أما الجائزة الثانية، فنالها «رحلة 19» لرنا زيدان «لما فيه من ذكاء في الطرح، وهو التكرار والملل من إعادة نفس اليوميات، حتى تهنا بالزمن». ومنحت اللجنة تنويهاً خاصاً لـ «حجرلوو» لحيدر الصفّار، و«تأثير الانفصال» لجاد سليمان وكوري بستاني. أما الجمهور، فقد منح جائزته لفيلم «حجرلوو».

إنّه يوم الجاز ولو... افتراضياً

تنظّم «مؤسسة عبد الحميد شومان»، بالتعاون مع «مهرجان عمّان جاز»، يوم الجمعة المقبل، أمسية موسيقية بعنوان «يوم الجاز» في «مكتبة عبد الحميد شومان»، للتذكير بأهمية القراءة والكتاب. تشارك في الأمسية أيضاً، «مجموعة عمان جاز»: معن بيضون (كونترباص)، ويوسف مشربش (بيانو)، وآندي فوينتيس (ترومبيت)، ومحمد جابر (درامز)، الى جانب الثنائي رمز ساحوري (غناء)، وحازم بيضون (بيانو). على أن تبثّ العروض الموسيقية مباشرة على صفحات المؤسسة على يوتيوب وفايسبوك.

أمسية «يوم الجاز»: 20:00 مساء الجمعة 30 تشرين الأول (أكتوبر) ـ «مكتبة عبد الحميد شومان» ـ مباشرة على صفحات «مؤسسة عبد الحميد شومان» على فايسبوك ويوتيوب.

فرقة «زقاق»... الخيال خلاصنا الوحيد!

تحت عنوان «الخيال كفعل»، تطلق فرقة «زقاق» ورشة مسرح علاجيّ بإدارة لميا أبي عازار ومايا زبيب (الصورة). ففي ظلّ «ظروف الحياة الصعبة التي نعيشها كمواطنين، أكان بسبب جائحة كورونا أو بسبب الفشل السياسي وفساد قادة البلاد الذي أدّى إلى أزمة اقتصاديّة هائلة، أو بسبب الانفجار المأساويّ الذي تسبّب في دمار جزء كامل من مدينتنا وتسبّب بمقتل مئتي شخص وإصابة الآلاف؛ شعرنا بالحاجة إلى خلق مساحة لقاء ودعم متبادل، تكون مساحة للتعبير عن والتواصل مع مشاعرنا وعواطفنا» وفق ما جاء في بيان الفرقة. الورشة التي تمتدّ على أربع جلسات تطرح مواضيع عدة أبرزها: الخيال كمساحة رئيسيّة لتطوير العافية العاطفيّة؛ والجسد كمكان لمواجهة وحلّ العواطف؛ والرغبة كمحرّك أساسيّ لأي تغيير؛ والخوف بمثابة تمويه يشلّ الرغبات؛ والحاضر بمثابة المكان والزمان للمواجهة بين أنقاض الماضي ومخاوف/رغبات المستقبل؛ والارتجال كفعل عفويّ يخلق الحاضر؛ والعمل التخيّليّ كفعل في الحاضر بإمكانه التأثير على الواقع. تُقام الورشة المجانية في «استديو زقاق»، لتحثّ المشاركين على إعادة التواصل مع أفكارهم ورغباتهم الشخصيّة، من خلال تمارين ترتكز إلى الحركة العضويّة والتنفّس والاسترخاء، بهدف التخلّص من التوتّر والضغط.

ورشة «الخيال كفعل»: 28 و30 تشرين الأوّل (4:30 حتّى 7:30 مساءً) ـ و4 و6 تشرين الثاني (4:30 حتّى 7:30 مساءً) ـ استديو زقاق ـ الأماكن محدودة، للتسجيل: communication@zoukak.org

أيها الصغار سنحدّثكم عن الموت

تقيم «جمعية سند للعناية التلطيفية في لبنان» بالشراكة مع «دار أصالة للنشر» اليوم، جلسة قراءة لكتاب «مثل أوراق الشجر» لمؤلفته لما عازار. الجلسة التي تُبثّ مباشرة عبر صفحة الجمعية على فايسبوك، تسعى لتعريف الأطفال والأهل معاً إلى كيفية تناول مسألة المرض والموت وفقدان أعزاء لهم، كجزء لا يتجزأ من دورة الحياة. يسعى الكتاب لتعريف الطفل بهذه الحالات والمواقف التي يمرّ بها، بطريقة إيجابية ومناسبة لقدرته على الاستيعاب، بهدف حثّه على تقبّل الفكرة أو التعايش معها.

جلسة قراءة كتاب «مثل أوراق الشجر»: 16:00 بعد ظهر اليوم على صفحة «جمعية سند للعناية التلطيفية في لبنان» SANAD Hospice Lebanon على فايسبوك.

الأخبار
al-akhbar

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

السبت 24 تشرين الاول 2020
العدد 4182 السنة الخامسة عشرة
Samedi 24 Octobre 2020 no 4182 15ème année

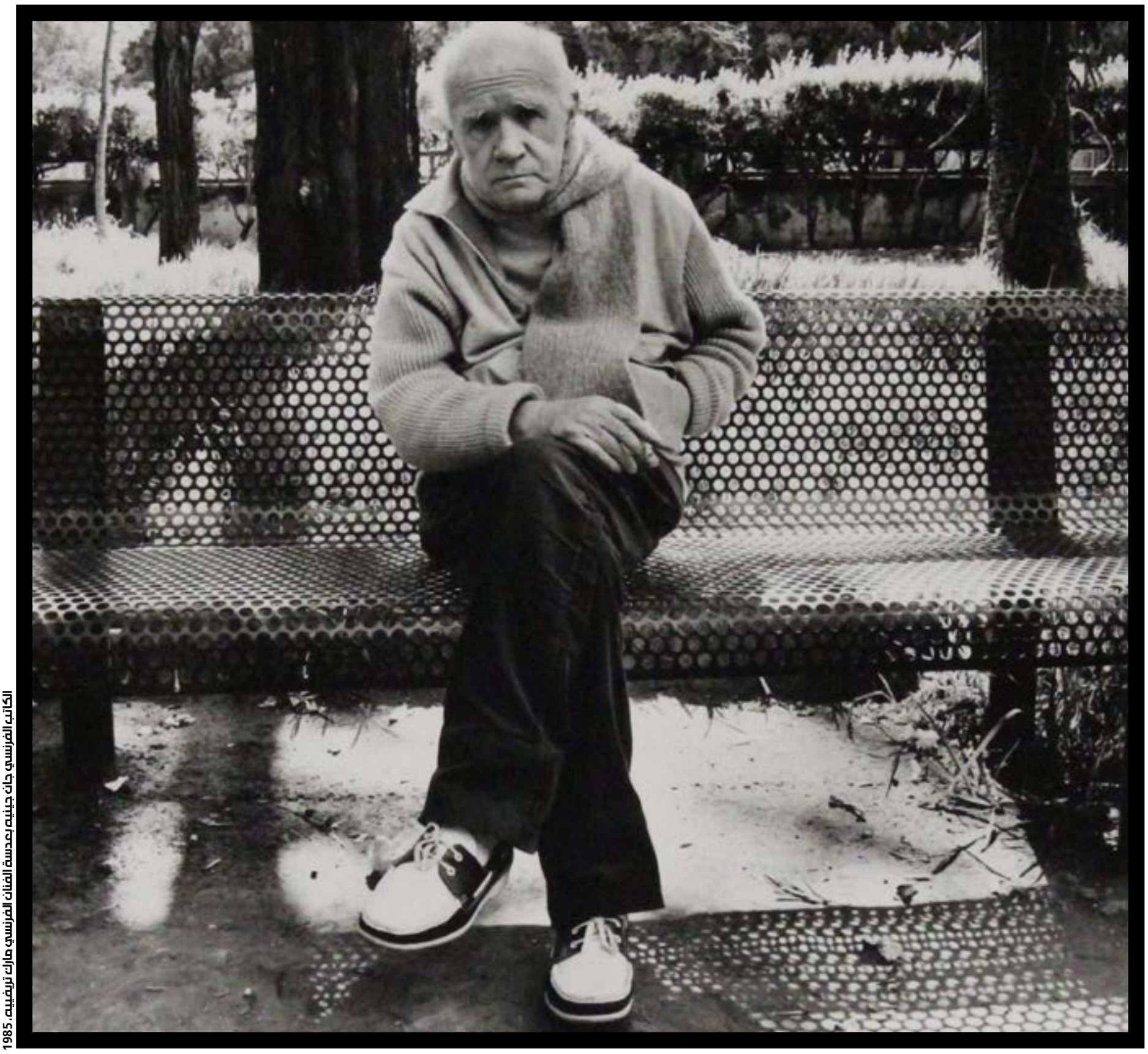

الكاتب الفرنسي جان جينيه بعدسة الفنان الفرنسي مارك تريفييه، 1985

جان جينيه... الحقيبة السحرية

محمد ناصر الدين

في بداية ذلك الربيع من 1986، حين عرف جان جينيه (1910 ـ 1986) أنّ أياماً قليلة بقيت له على قيد الحياة، توجّه الكاتب المصاب بسرطان الحنجرة إلى منزل محاميه رولان دوما الفخم في باريس. مكان مزدحم بالأعمال الفنيّة حيث مشغل كامي كلوديل. ألقى جينيه على الطاولة بحقيبتين: الأولى جلدية سوداء، والثانية بُنّية. «رولان، هاك كل عملي الحالي، اصنع به ما يحلو لك». في الفترة تلك، كان كاتب «الخادمتان» (1947) و«يوميات لص» (1949) قد صام عن النشر 25 عاماً. بعد رفض قاطع لنشر محتوى «الكنز» حين تمت إثارة موضوع «وديعة جينيه» للمرة الأولى عام 1990 من قِبل ألبير ديتشي المختص في آثار جينيه، سيتنازل رولان دوما عن الحقيبتين لـ «معهد ذاكرة الكتابة المعاصرة» الذي يديره ديتشي نفسه حالياً، على أن تعرضا أمام الملأ في نهاية الشهر الحالي قرب مدينة Caen، وهو أمر كشفه الصحافي غاسبار ديليم*، في تحقيق كبير نُشر أخيراً في جريدة «لوموند» الفرنسية.

«حين فتحتُ الحقيبتين للمرة الأولى، سُحرتُ بتلك الفوضى الثرية المدهشة، التي هي أشبه بمغارة علي بابا»، يقول ديتشي. نسخة من «الإشراقات» لرامبو، قميص قطني، فولار كان يلفّه حول عنقه مثل طلاب المدارس، مسودات كثيرة، مغلّفات، ملاحظات، دفاتر، مخططات، إعلانات، دفتر لقاحات، لفافات فوضوية، ونصوص جاهزة أو شبه مكتملة، منها بداية لجزء ثانٍ من كتابه الأخير «أسير عاشق» (1986)، وسيناريو سينمائي غريبٍ كتبه جينيه بطلب من صديقه المغنّي والممثل البريطاني دايفيد بووي المعجب بـ «سيدة الزهور»، والذي حلُم بلعب دور «ديفين» البطل المخنّث في الرواية (1943)، إضافة إلى نصّين عن اليابان. المفاجأة السارة للعالم العربي في حقيبتَي جينيه هو كتاب كبير عن فلسطين أنجز جينيه مقاطعه على أغلفة قطع السكر وعلى قفا فواتير الفنادق. فقد اكتشف جينيه بعد أحداث أيار (مايو) 1968 أن ثورته الداخلية يمكن أن تعقد قرانها على ثورة في الخارج، فكان اختيار جينيه للفلسطينيين، الشعب المطرود من أرضه في آخر قضية كولونيالية في القرن العشرين، ليتوّج التزامه هذا بنص «أربع ساعات في شاتيلا» حين وصف في نهايته تضحيات الفدائيين في ملحمة طروادة: «المعركة من أجل البلاد يمكن أن تملأ حياةً جدّ غنيّة، لكنها قصيرة. وهذا، كما نذكُر، هو اختيار أشيل في ملحمة الإلياذة». من أجل معرفة أهمية حدث «الحقائب السحرية»، لا بدّ من العودة إلى بداية لقاء جينيه برولان دوما في بداية الستينيات من القرن الماضي، حين كان دوما محامي الانتليجنسيا الفرنسية والأوروبية. كان موكلاً بذخائر جاك لاكان والرسامين مارك شاغال وبابلو بيكاسو، وسيحبّه جينيه بسبب «لكنته الجنوبية، ولأنه لا يلقي بالمواعظ كما يفعل زملاؤه الباريسيون». دوما سيصبح صديق جينيه، وكاتم أسراره، سيجمعهما حب الفن، والعالم العربي وحتى الرغبة في انتهاك المحرمات. سيبثّ جينيه صديقه المحامي حزنه وكآبته لدى موت عشيقه المغربي عبد الله، لاعب السيرك وراقص الحبل: «كلا يا رولان، لا أريد أن أفعل شيئاً بعد الآن. بالمناسبة، لقد مرّقت جميع مخطوطاتي. لا بدّ لموتٍ من أن ينفع في شيء ما!». الحقيبتان اللتان رافقتا جينيه في جميع تنقلاته، من طوافه بين جثث الشهداء في صبرا وشاتيلا، وترحاله في غيتوات السود في الولايات المتحدة، وصولاً إلى مقامه في البيت «بالأشرعة الزرقاء» الذي شيّده لعبدالله في بلدة لاراش المغربية، تفصحان عن شيئين متناقضين لدى جينيه: ترمزان إلى الحرية المطلقة لرجل بلا بيت (وهذا من أسباب تعلق جينيه بالفلسطينيين) وبلا حدود، لكنها تشير في المقابل إلى أن جينيه ـ بالرغم من بوهيميته ـ كان حريصاً على حياة «أخروية» تضمنها الكتابة. الكاتب العملاق الذي قاسى في شبابه السجن والإصلاحية والوضع تحت الرقابة الاجتماعية والتبني العائلي، وضع تصوراً للكتابة أشبه بالحياة: النزول بها مسرحياً إلى الشارع، بحيث «أن التراجيديا يجب أن نعيشها، لا أن نمسرحها». هذا الشبه بين حياة الأديب ونصّه لا يداني جينيه فيه إلا العملاق الآخر، أنتونان أرتو. لكن الفرق بينهما أن أرتو حين يهاجم في كتابته، يثقب ويحرق ويحترق، بينما جينيه يداعب ويمشي بخفة ويطير مثل «راقص الحبل».

(ترجمة واقتباسات من تحقيق غاسبار ديليم حول حقائب جينيه وكتاباته السرية المكتشفة في جريدة «لوموند»، 9 تشرين الأول/ أكتوبر 2020)

ذكرى

فرانز فانون المثقّف المشتبَك في الخطوط الأمامية

كالبرق الساطع، مضى المفكّر الأممي في الحياة. فيلسوف البركسيس (التقاء النظريّة بالممارسة) الثوريّ الأهم منذ أنطونيو غرامشي، رحل عن عالمنا في عمر الـ36، لكنّه هو الذي أعلن «إنني رجل متجذّر في زماني». ترك في أيدي الناس العاديين تراثاً ثورياً متفجراً يُستعاد اليوم بعد أكثر من 58 عاماً على غياب صاحبه، طازجاً غاضباً حالماً، ودليلاً عملياً للمثقفين المعاصرين: دعوا تنظيركم المقعّر، وتفضّلوا مع الناس إلى المتاريس. هناك فقط تخلقون فضاءً «للتنوير والإثراء المتبادل» مع أبطال حقيقيين في المواقع الاجتماعية وعلى الجبهات الأماميّة حيث يصنع التاريخ.

سعيد محمّد

لا أحد ينكر أننا نعيش أوقاتاً استثنائيّة كما لو أنّها تلك «الأسابيع القليلة» التي قال عنها القائد لينين «تحدث فيها عقود، بعدما مرّت عقود من الزمن لم يحدث فيها ثمّة شيء». لقد كشف فيروس كورونا بلا مقدّمات عريَ هذا العالم وحقيقته المغيّبة بالأيديولوجيا البرجوازيّة وأدواتها، وفسطاطين متناقضَين: أثرياء وأقوياء وبيض يديرون الكوكب لمصالحهم الذاتيّة الضيقة، وفقراء ومهمشون ومليّونون يدفعون من لحمهم ثمن المواجهة الكبرى. مواجهة بدأت بالاشتعال رويداً رويداً ولم تعد خنادقها الأماميّة أمام متاريسنا التقليديّة في سوريا وفنزويلا وإيران وكوريا الشمالية وكوبا فحسب، بل هي الآن في قلب مينسوتا الأميركيّة، وشوارع ساوباولو في البرازيل ووسط جوهانسبيرغ في جنوب أفريقيا وبالقرب من ميناء مدينة باث الإنكليزيّة. في هذه الأوقات، وفي خضم المواجهة الحتميّة، فإن أخطر ما يواجهه «الملعونون في الأرض» أنّهم يقاتلون بلا أيديولوجيا. كانت تلك تماماً مأساة رفاقنا الفلاحين الإنكليز الذين كسروا جيوش الملك، وأسقطوه، ليذهب وجهاؤهم إلى نبيل آخر متمنّين منه قبول تولّي العرش بدل الملك المخلوع.

لمثل هذه اللحظة، وُجد فرانز فانون (1925 – 1961). المفكّر الثوري الأهم في النصف الثاني من القرن العشرين كتب يقول في خضم حروب التحرر في أفريقيا الخمسينيّات: «الكولونياليّة (الاستعماريّة) ومشتقاتها – المحليّة – لا تشكل فعلياً العدو الأخطر لأفريقيا. في وقت قصير، سنحرر هذه القارة ويرحل عنها الاستعمار. لكنيّ كلّما زاد احتكاكي بمختلف الثقافات والدوائر السياسية، تعاظمت قناعتي بأن أخطر ما تواجهه أفريقيا اليوم هو غياب الأيديولوجيا». لقد سجّل في نصوصه قلقاً تجاه محدوديّة الفكر السياسي لدى الحركات التحرريّة الأفريقيّة في مواجهة الثنائيّة القاهرة التي يفرضها الاستعمار على الناس، فتُسحق عقولهم، لتجعلهم في الفسطاطين كليهما كأنّهم ضحايا لمرض نفسي: تعساء ملونون متقبلون لدونيتهم وهامشيتهم في مربع المهمشين، أو أثرياء صدقوا أسطورة تفوقهم ونبل محتدهم في المربع الآخر. وكلا الطرفين متورّط في تصديق الأمرين معاً: دونيّة ذاتيّة وتقبّل لتفوّق الآخر، أو نرجسيّة متورّمة واقتناع بدونيّة الآخر. ورحل قبل أن يرى كيف هدأت الحمم الثائرة المناهضة للاستعمار مع تولّي النخب الثوريّة القيادة وطردها الشعب مجدداً إلى كهوفه وإقصائه عن التاريخ، بدلاً من البناء على وعي القطاع الأعرض من السكان الأصليين، فبرغم كل مثالبه وقصوره، هو الذي أنجز التحرير، أو أيضاً التأسيس لفضاء حرّ تتدفّق الأفكار من مختلف الجهات حول شكل الغد الأفضل ليكون خياراً إنسانياً محضاً بعد طول استعباد للبشر بالأديان والمخلوقات الأسطوريّة ومحض العنف. لذلك، أصرّ دوماً على أن الغضب الثوريّ يجب أن يتّسم بـ «العقلانيّة» بمعنى ضرورة إبقاء جذوة النضال داخل النضال لمقاومة أولئك المذعورين من تعدّد القراءات داخل الحركة الثوريّة، ويدفعون باتجاه تحويل الحزب الثوري إلى أداة في يد زعيم أوحد أو أفراد قلّة يأخذون على عاتقهم «احتكار تعريف وطنيّة شعبهم بالسمع والطاعة»، و«أنّ العقيدة الواحدة الجديرة بالاتّباع هي وحدة الأمة ضد القوى الاستعماريّة»، وتحت قيادتها المنزّهة حصراً.

فانون، الفرنسيّ الأسود اختار أن يكون جزائرياً، وقتما كانت قضيّة الجزائر رمزاً عالمياً لكلّ نضالات شعوب العالم الثالث كما قضيّة فلسطين اليوم، والبرجوازي المنحدر من طبقة وسطى مرتاحة مادياً، وانتهى مثقفاً عضوياً ملتحماً بقضايا الطبقات العاملة والفلاحين... المثقّف النخبويّ الرفيع التعليم من الجامعات الغربيّة الذي نسج أفكاره من القتال مع الناس على المتاريس وفي الجبهات، الماركسيّ النزعة من دون أن يسقط في فخ التعالي الثوري على الفقراء، طبيب السايكولوجيا الذي وضع علمه وممارسته الطبيّة في خدمة التحرّر كاشفاً عن الخراب الهائل الذي يتسبّب فيه الاستعمار للقلوب والعقول معاً.

ديالكتيك الثورة عند فانون يقول بحتميّة تكوّن مقاومة لمواجهة الاضطهاد تتشكّل أساساً حول طبيعة العدو والمعركة في كل جبهة. لكن طموحه الثوري ألّا يتقمّص المستعمِر حينئذ عقل المستعمَر ويقتصر تفكيره على حدود الفكر الاستعماري «المبسّط»: صراع سادة وعبيد، إذ إنّ المسألة التحرريّة لا تستهدف استبدال نظام بنظام بقدر ما هي بشأن تجاوز ذلك النظام إلى شيء خلّاق جماعي ومختلف تماماً، فنحن لا نريد بعد كلّ تلك التضحيّات أن نستبدل مضطهداً أشقر بـ «مضطهد آخر ذي ملامح سوداء، أو سحنة عربيّة». معركة الناس هي ضد الاضطهاد كمبدأ.

بالطبع هذا أمر ليس بالسهل، لا سيّما وأنت تقاتل تحت «وهج الأضواء الكاشفة للتاريخ». لكن كل شيء عنده يبدأ في كسر ثنائيّة السادة/ العبيد المثاليّة، المؤسطرة، وغير الواقعيّة. لحظة يتبعها نوع من الظلام وحيرة الوعي – يقول فانون - قبل أن تبدأ الأمور بالتشكّل ببطء مع مرور الوقت، ومع تطور الصراع، «ليبزغ الوعي على حقائق نسبيّة وجزئيّة ومحدودة وغير مستقرّة تتم إعادة النظر فيها بشكل دائم من خلال التجارب على الأرض ومن الحراك الجماعي والمعاداة بلا هوادة للاستعمار». وهذه في تفاعلها ينبغي أن تنتج «أنماطاً من طرائق التفكير ومنهجيّات التقييم والسلوكيّات أكثر ثراء من تلك التي يمكن الوصول إليها اعتماداً على فكر المستعمرين» المسطّح.

إلى جانب نقده لمجمل التجربة الكولونياليّة، فإن فانون سجّل أيضاً نقداً لاذعاً للبرجوازيّات الوطنيّة وللمثقفين الأكاديميين. فهو كشف عن احتكار البرجوازيّات «الجشعة» للدولة كأداة لتمكين هيمنتها على المجتمع و«افتراسه»، كما إساءة توظيفها لتاريخ النضال المجتمعيّ لدعم سلطتها الفاسدة، معتبراً أن بعض نماذج القوميّة الشوفينيّة المعسكرة لا تختلف في طريقة تعاملها مع المضطهدين من أبناء الشعب عن الأساليب الأشدّ قمعاً التي استخدمها المستعمر، مصرّاً لذلك على أن الوعي الوطني - «تلك الأغنية الرائعة التي جعلت الناس يثوروا ضد مضطهديهم ومحتلّيهم» - لا بدّ من أن تستكمل بالوعي السياسي والاجتماعي لبناء مجتمع حرّ جديد. وهو ما يشبه نبوءة نبيّ لما حدث بالفعل في الجزائر تحديداً وعشرات غيرها من دول العالم الثالث التي كسبت بالفعل استقلالاً ثميناً بدماء الناس، قبل أن تنتهي إلى سيطرة أنظمة عسكريّة أو ملكيّة فاسدة فتحت الأبواب لعودة الاستعمار في نسق هيمنة جديد (ما بعد كولونيالي) أكثر تعقيداً وأقل كلفة ماديّة على المستعمرين. أمّا عن المثقفين الأكاديميين النظريين، فهو يحذّر بشدّة من «أولئك المتنطعين الذين يريدون أن يعلّبوا تجارب الناس في صناديق نظريّات تعلموها في الجامعة ومن الكتب، أو يقزمون الانخراط في العمل الثوري وفق معادلات مسبقة مُغرقة في الرومانسيّة والتطرّف غير الواقعي». عند فانون مكان المثقف (العضوي) المناضل هناك على الأرض في «منطقة عدم التيقّن الغامض حيث يسكن الناس العاديّون، في ذلك الوعاء المملوء بغضبهم والذي من فيضانه نتعلّم شكل المستقبل الممكن». هكذا، دعا المثقف الذي دربته الجامعة إلى تجنّب الفشل التقليدي للأكاديميين في خوض نقاشات ثنائيّة الاتجاه مع الممارسين على الأرض، والالتزام بدل ذلك في التأسيس لحوار حقيقي، من دون السقوط في فخّ القبول الأعمى بكلّ ما يأتي به الناس على عواهنه. ولذا، فهو يرى بضرورة اندراج المثقفين بقيادة المتاريس مع قادة الناس العاديين بهدف تحقيق «فضاء مشترك للتنوير والإثراء المتبادل». وهنا لا يقترف فانون مجرّد هيكليّة ديمقراطيّة للنضال الجذري المنبثق من ممارسة حقيقيّة تحترم الناس وتؤكد على كرامتهم الإنسانيّة وحقّهم الطبيعيّ في أن يكونوا إطار النقاش المجتمعي وفي قلب عمليّة اتخاذ القرارات العامّة، بل ويكسر قالباً مستورداً من الغرب عن دور الزعيم الملهم الذي سيتولّى مسؤوليّة كل شيء، فالأيدي السحريّة التي ستتولى إنجاز الأمور والدّفاع عن الأوطان هي في النهاية أيدي الناس العاديين فقط.

يقول المفكّر البرازيلي الشهير باولو فيريري بأنّه في عام 1968 كان في المنفى في سنتياغو (تشيلي) فارّاً من الديكتاتوريّة العسكريّة المجرمة في بلاده بعد انقلاب 1964 المدعوم أميركياً، وكان يضع اللمسات الأخيرة على كتابه الأشهر «تعليم المقهورين» عندما زوّده أحد الرفاق الذي حضر إلى سنتياغو لنقل رسائل سياسيّة، بنسخة من كتاب جديد عنوانه «الملعونون في الأرض» كان آخر ما نشره فانون بالفرنسيّة، في الأيّام الأخيرة قبل خسارته لمعركته الشخصيّة مع سرطان اللوكيميا. يقول فيريري: «بعدما قرأت فانون، أيقنت أنّني بحاجة لإعادة كتابة «تعليم المقهورين» من جديد».

أفكار فانون ومنهجيته الثوريّة ونظرياته تركت تأثيراً كبيراً على أجيال كثيرة خاضت نضالاتها التحرريّة في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد قُرئت كتبه ونوقشت من قِبل الثوريين حول العالم من جنوب أفريقيا إلى الجزائر، ومن فلسطين إلى سيرلانكا، كما نضالات الثوريين السود في الولايات المتحدة. وما زالت نصوصه قراءة لا بدّ منها لكلّ من يتصدى للنضالات التحررية عبر الجغرافيات والأيّام، رغم أن بعض قطاعات اليسار الغربي المتهتّكة تتلعثم تجاه دعوته الصريحة للعنف الثوري كأداة تطهّر واستعادة للإنسانية لا بدّ منها في مواجهة الاستعمار والاضطهاد. بالطبع، لم تكن تلك بدعوة للعنف المجانيّ، بل اعترافاً صريحاً بحق المضطهدين في حمل أسلحتهم المتواضعة وحجارتهم وسكاكينهم لإقصاء عدّو يقصفهم بالدبابات والطائرات والأسلحة المعقدة الحديثة. فهل كان ممكناً بأيّ حال أن ينتهي الاحتلال الفرنسي بدون عنف، وسلطات باريس تعدّ الجزائر بمثابة فرنسا جنوبيّة؟

وللحقيقة، فإن فرانز فانون أكثر من مجرّد فيلسوف ومنظّر آخر ترك لنا نصوصاً ثوريّة صاخبة. لقد عاش هذا الرجل تجربة إنسانيّة مذهلة بكل المقاييس منح من خلالها كلماته المكتوبة صدى وسطوعاً لا يخفت من تعانق الفكر والممارسة وتلازم النظريّة بالسلوك الشخصيّ. والأهم من ذلك، تقديم مثال ملهم عن الالتزام الثوري الذي يتجاوز حدودنا المريحة، التي غالباً ما نقبلها كما هي خانعين. فقد تطوّع شاباً صغيراً مهاجراً من المارتينيك (جزر الأنتيل الفرنسيّة بالبحر الكاريبي) مع المقاومة الفرنسيّة للاحتلال الألماني خلال الحرب العالميّة الثانية (وكان عمره وقتها 18 عاماً)، ليصاب بصدمة إثرها من العنصريّة الفرنسيّة المتجذّرة ضد الملونين حتى الذين حملوا السلاح من أجل فرنسا، كما الأوروبيّين السجناء الذين كانوا يفضّلون الرقص مع سجانيهم الفاشيست على الاحتفاء مع محرريهم الملونين. حصل بعد الحرب على درجة في الطبّ من جامعة ليون الفرنسيّة وتخصص في الطبّ النفسي، لكنّه كان يقرأ بكثافة في موازاة ذلك لهيغل ونيتشه وماركس وفرويد. وكان إبّان أيّامه في البر الأوروبيّ يختلط بكبار المثقفين الفرنسيين والأوروبيين أمثال جان بول سارتر (كتب مقدّمة ممتازة لكتاب فانون «الملعونون في الأرض» ربما تكون أفضل أعمال سارتر على الإطلاق) وسيمون دو بوفوار وغيرهما. مارس فانون الطبّ النفسي لاحقاً في الجزائر وتونس، فاطلع عن كثب على الظلم الذي يحيق بالبشر - محتلّين ومحتلون - جراء المشروع الاستعماري الذي يكسر إنسانيّة الإنسان. تلك الخبرة الأولى دوّنها في «بشرة سوداء، أقنعة بيضاء» (1952)، فيما نشر كتابه الثاني «استعمار يضمحلّ» عام 1959 ثم «الملعونون في الأرض» (1961)، ونُشر بعد وفاته «نحو ثورة أفريقيّة» (1964).

لدى انطلاق حرب تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي تشرين الثاني (نوفمبر) 1954، التحق مبكراً بجبهة التحرير الجزائريّة، التنظيم الثوريّ الذي قاد النضال العسكريّ. وصار وجهاً معروفاً في أوساط الثوريين الأفارقة، لا سيّما باتريس لومومبا الذي كان صديقاً شخصيّاً له. وفي 1959، أصيب بجروح بالغة عندما انفجر لغم في سيارة جيب كان يستقلها بالقرب من الحدود التونسية الجزائرية. وقد تم إرساله بجواز سفر ليبيّ مستعار إلى روما للعلاج الطبي. وهناك نجا بأعجوبة من الاغتيال على يد منظمة متطرفين مرتبطة بالدولة الفرنسية.

وفي آذار (مارس) 1960، أُرسل فانون إلى أكرا (غانا) ليصبح سفيراً للحكومة الجزائريّة المؤقتة التي كانت تديرها جبهة التحرير الوطني. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 1960، كان جزءاً من فريق مكلّف بمهمّة استطلاعية تهدف إلى فتح جبهة جنوبية على الحدود مع مالي، مع خطوط إمداد تمتد من باماكو عبر الصحراء الكبرى. وفي اللحظة الأخيرة، اشتبه الفريق الجزائري بوجود اختراق لتحركهم، فتخلوا عن خطتهم للسفر جواً وقادوا مسافة ألفي كيلومتر من مونروفيا إلى باماكو بالسيارة. وبالفعل فإنّ الطائرة التي كان مقرراً أن يستقلها فانون إلى أبيدجان، أُجبرت على الهبوط وقام الجيش الفرنسي بتفتيشها بلا طائل.

لاحظ فانون تراجع صحّته، فأجرى فحوصاً للدم شخّص على إثرها نفسه بسرطان اللوكيميا. وبينما كان ملقى على سرير مستشفى في تونس، كان يخطّ الصفحات الأخيرة من «الملعونون في الأرض». حاول رفاقه في جبهة التحرير الجزائريّة إنقاذ حياته، فتدبروا أمر إرساله إلى موسكو، لكن الرّفاق السوفييت هناك لم يقدّموا له شيئاً بعدما اعتبروا حالته متقدّمة. ولاحقاً رتبّ له مكتب جبهة التحرير الجزائريّة في الولايات المتحدّة رحلة للعلاج هناك في ولاية ميرلاند. وقد تبجحت المخابرات الأميركيّة لاحقاً بأنها سهّلت سفره إلى هناك رغم معرفتها بخطورة تأثيره السياسيّ ومعاداته الشديدة للإمبرياليّة الأميركيّة، وقد يكون ذلك صحيحاً بالطبع، لا سيّما أنّ الأميركيين تواصلوا في غير مناسبة مع الثوار الجزائريين بغرض معرفة ماذا يجري على الأرض في المستعمرة الفرنسيّة السابقة. لكن حالته كانت ساءت، فلم يطل المقام به ومات غريباً وحيداً في قلب الإمبراطوريّة الإمبرياليّة الأعتى، مفتقداً لمكتبه في مقر الحكومة الجزائريّة المؤقتة في تونس، ولرفاقه المقاتلين في الجزائر. وقد نُقل جثمانه في ما بعد إلى مقبرة للشهداء هناك بعد التحرير. إبراهيم - فرانز فانون، كأنّك معنا.

> **أفكاره ومنهجيته الثوريّة ونظرياته تركت تأثيراً كبيراً على أجيال خاضت نضالاتها التحررية في النصف الثاني من القرن العشرين**

«الاغتراب والحريّة»: اكتمال نصوص القمر الأسود

كتب فرانز فانون نصوصه المنشورة كتباً ومقالات باللغة الفرنسيّة، وكانت تجربته الفكريّة والشخصيّة والنضاليّة في أجواء العالم الفرنكوفوني حصراً. لذا لم يحظَ المتحدثون باللغة الإنكليزيّة بداية بالفرصة للاطلاع على مقالاته، وصدرت بعض ترجمات رديئة لكتبه المنشورة. لذا، فإن كثيرين من تلاميذ فانون وقرائه في بريطانيا والولايات المتحدّة كانوا سعداء بصدور مجلّد «الاغتراب والحريّة» (تحرير جان خلفا وروبرت جي سي يونغلندن ـ بلومزبري، 2018) المعدّ بكثير من الحبّ والعناية والدقّة جامعاً النصوص كافة التي خطّها فانون ولم تُنشر في كتب بعد، خصوصاً مقالاته الكثيرة في جريدة «المجاهد» التي كانت تصدرها الحكومة الجزائريّة المؤقتة (جبهة التحرير الوطني الجزائري) خلال حرب 1954 - 1962 التي أنهت الاحتلال الفرنسي للبلاد بعدما طال لأكثر من 132 عاماً.

يقدّم مجموع نصوص الكتاب صورة بانوراميّة عن فكر فانون وتطور كتاباته عبر سنواته الثوريّة الفائرة، ويضعها من خلال مقدّمة محترفة في سياقها التاريخيّ والاجتماعيّ. ورغم أصالة ظاهرة في نصوص فانون، فإن الرّجل كان أثناء دراسته الجامعية في الطبّ النفسيّ قد تشرّب أعمال هيغل، نيتشه، ماركس، فرويد، لاكان وسارتر، وتظهر آثارها جليّة في طريقة تحليلة ونظرته إلى طبيعة الصراعات البشريّة بل حتى طريقة التعبير. وقد تفاعل فانون بنشاط فائر مع الجماعات اليسارية والمناهضة للعنصرية وتأثر بأفكار الحركة الوجودية. وقد كتب أيضاً ثلاث مسرحيات، اثنتان منها بقيتا على قيد الحياة واستُرجعتا في هذا الكتاب باسم «العين الغارقة» و«الأيدي المتوازية» وفيهما روح وجوديّة ظاهرة.

وإذا كان مجلّد «الاغتراب والحريّة» لا يكشف جوانب جديدة بشأن فانون يمكن أن تعيد تصنيف الرّجل أو تدفعنا لقراءته في سياق جديد، فإنّه مع ذلك يوفر نوعاً من اكتمال لتجربة هذا الثوري الشجاع. قمر الحرية الأسود الجميل الذي رحل باكراً، ويقدّم وحدة فكره وتماسك نظريته الثوريّة.

يضمّ المجلد ثبتاً بقائمة الكتب التي وُجدت في حوزته، وفيها إشارات تظهر اهتمام المتعطّش بالماركسية والتحليل النفسي والفلسفة الوجودية والأدب الغربي إلى حدّ كبير. وفي المجلّد أيضاً تسجيل للأجزاء التي أبرزها فانون في هذه الكتب وتعليقاته الخاصة عليها، ما يطرح ربطاً مثيراً بين أفكاره ومصادر تكوينه الفكري والأيديولوجيّ.

يرفض فانون البهلوانيّات الليبرالية الفرنسية لتجميل وتلطيف الحكم الاستعماري باعتبارها محاولة عبثيّة محكوماً عليها بالفشل. يدين اليسار الغربيّ – وبخاصة الفرنسي – لتقاعسه عن دعم استقلال الجزائر من دون قيد أو شرط، ويتّهمه بالترويج لـ «الحلول الوهمية» الخادعة بينما بالنسبة إلى الشعب الجزائري، فإن «النظام مدانٌ في كتلة واحدة». ومع ذلك، فقد وقف فانون ضدّ أي «كراهية مستقبلية للرجل الأبيض»، والقوميّات الضيقة وسياسات الهوية القائمة على الاستياء والكراهية، وحثّ رفاقه الجزائريين دائماً على «إبعاد كل العنصرية عن أرضنا، وكل أشكال القمع ودعاهم للعمل من أجل الإنسان وإثراء الإنسانية».

تزيل رسالة فانون المؤقّتة إلى المفكر الإيراني علي شريعتي شبهة طالما ألقيت عليه باعتباره من أنصار الإسلامويّة، لكنّه يقول بشكل قاطع بأن إحياء العقليات الطائفيّة والدينيّة يعوّق آفاق التحرر الإنساني ووحدة الشعب المضطهد، رغم تفهمه للدّور الإيجابي الذي لعبه الإسلام تحديداً في حماية الهويّة الوطنيّة للجزائريين في مواجهات سياسات الفرنسة القاسية.

يتم ترتيب كتابات فانون في هذا المجلّد (حوالى 800 صفحة) في ثلاثة أجزاء، بدءاً من أعماله المسرحية في وقت مبكر، وبعضها كان يعتقد حتى الآن أنها ضاعت إلى الأبد. وتلي هذه كتاباته النفسية ثم كتاباته السياسية، التي تركز بشكل رئيس على الحرب في الجزائر. والأخيرة كانت لا تزال تتمتع بسطوتها وعلّو صوتها في وجه المحتلين.

لقد تغير العالم كثيراً منذ عام 1962، فسقط جدار برلين وانهار الاتحاد السوفياتي، وتنافس الصين اليوم على مرتبة أكبر اقتصاد في العالم، وظهرت بوادر قويّة لتفكك الاتحاد الأوروبي أو تحوّله تدريجاً إلى ناد ألمانيّ بعدما ألقي باليونان إلى سجن القروض المؤجّلة وقررت بريطانيا التوجه غرباً عبر الأطلسي، فيما أثارت تحركات الأقليّة السوداء في الولايات المتحدة قلق الجميع. ومع ذلك، لا تزال نظريات فانون الثوريّة وتطبيقاتها في «ما بعد الكولونياليّة» يتردد صداها لغاية اليوم، ليس فقط في المستعمرات السابقة حيث تشكل الندوب العميقة لفترة الاحتلال والعنف المستمر للاستعمار والكولونيالية الجديدة والديكتاتورية والاغتراب والفقر، والبطالة والأمية وانحلال البنية التحتية والعداوة بين الأعراق والتعصب الديني صراعاً يومياً، ولكن أيضاً في قلب الإمبراطوريّة الأميركية، حيث هذه القوى والديناميات نفسها تدفع الأجندة الإمبريالية العالمية لإثراء النخب المهيمنة على حساب الأكثريّة.

كانت الماركسية جزءاً كبيراً من الهواء الذي تنفّسه فانون خلال سنوات تكوينه في مسقط رأسه في المارتينيك بصحبة أشخاص مثل الشاعر الثوريّ إيمي سيزير، وكذلك خلال السنوات التي قضاها في فرنسا وارتباطه بأشخاص مثل هنري جانسون وجان بول سارتر، وكذلك بعض تيارات اليسار داخل جبهة التحرير الوطني الجزائرية. ويقتبس فانون ويعيد صياغة ماركس بحرية في كتاباته، وحتى عنوان كتابه الأسطوري الأخير «الملعونون في الأرض» الذي أملاه عندما عرف أنه على موعد مبكّر مع الموت قد أُخذ من مقطع في النشيد البروليتاري للأممية الشيوعية العالمية. ومع ذلك، فإن الماركسية لم تكن لتمنعه من التفاوض بفاعليّة مع مفكرين آخرين، ويربط ممارسته الثوريّة بهم لا سيّما هيغل. وقد مال فانون كذلك إلى الاعتقاد بأولويّة فئة الأمة في السياق السياسي للاستعمار على فئة الطبقة، وأن الفلاحين قد يكونون الأكثر ثورية من البروليتاريا بحد ذاتها في إطار الهيكل الاجتماعي الاقتصادي للمجتمعات الأفريقية/ الكاريبية. ولذا يمكن الزّعم بأن فانون كان لا يزال يبحث عن صياغة متماسكة لماركسيّة ترتبط بظروف الاستعمار الكولونيالي قبل أن يقطع الموت سعيه النبيل، وأن مشروعه ما زال مفتوحاً وينتظر.

سعيد...

سرد

هوميشوما (*): الروح الأكبر يُسمّي شعب الحيوان (**)

ترجمة **يزن الحاج**

في البدء كان شعب الحيوان – قبل ان يوجد ايُّ بشر. كان ذئب القيوط الحيوانَ الأهمَّ إذ قدَّمَ، بعد تكليفه من الروح الأكبر، الإسهامَ الأكبرَ، من بين الحيوانات الأخرى، في جعل العالم مكاناً جديراً بالعيش. ولكنْ مرّت أيّام لم يكن فيها القيوط مُكَلَّفاً بأعمال من الروح الأكبر. فسلّى نفسه عبر إحداث شغبٍ وفوضى. بل إنّه كان ضحيّة شغبه مراراً ما أثار ضحك الجميع – الجميع ما عدا الخُلْدة. كانت الخُلْدة زوجة القيوط. يُطلَق شعبي اسم سن-كا-لب (Sin-ka-lip) على القيوط. ومعنى الاسم «المُقلِّد». إذ كان يبتهج حينما يتهكّم من الآخرين أو يُقلِّدهم، أو حين يكتفي بمجرّد المحاولة. وكان يُسمّى أحياناً «المحتال». لأنّه كان بارعاً في الحيل والمكائد. الاسم الذي نطلقه على شعب الحيوان هو تشب-تشاب-تيكولك (Chip-chap-tiqulk) (حرف «ك» الاخير بالكاد يُلفَظ). ونستخدم الاسم نفسه للحكايات التي تُروى عن شعب الحيوان ومن زمن الأساطير. بالنّسبة إلى الأجيال الأصغر سناً، تبدو التشب-تشاب-تيكولك حكايات غير معقولة. وهذه إحدى نتائج مدارس البيض. ولكن بالنّسبة إلى الهنود الأكبر سناً، ليست حكايات التشب-تشاب-تيكولك غير معقولة أبداً؛ إذ أنّها توصيفات لما حدث فعلاً حينما كان العالم ما زال طفلاً.

(المترجم)

غلاف الكتاب (تفصيل)

نادى هـا-آه إيل-مي-وهين (الروح الأكبر العظيم) شعب الحيوان ليجتمعوا. جاؤوا من أنحاء العالم كلّها. ومن ثمّ أخبرهم الروح الأكبر أنّ ثمّة تغييراً سيحدث، أنّ جنساً جديداً هم البشر سيعيشون في الأرض.

قال الروح الأكبر: «لا بدّ أن يكون لكم كلّكم يا تشب-تشاب-تيكولك – شعب الحيوان – أسماء. بعضكم يحمل أسماء، وبعضكم لم ينلها بعد. ولكن بحلول غدٍ سيكون للجميع أسماء يحملونها وتحملها ذرّيّتكم إلى آخر الزّمان. في الصّباح، حينما يظهر أوّل ضوء في النّهار، تعالوا إلى بيتي واختاروا أسماءكم. يمكن لأوّل الواصلين أن يختار الاسم الذي يشاء أو تشاء. ويمكن للتالي اختيار أيّ اسم آخر. وهكذا إلى أن تُؤخَذ الأسماء كلّها. وسأكلّف كلّ واحدٍ منكم بعمل». أثار هذا القول حماس الحيوانات. رغب كلٌّ منهم باسمٍ جليلٍ، وبسُلطةٍ تخوّله حُكم قبيلةٍ من القبائل أو بقعة من بقاع العالم، وعَزَمَ كلٌّ منهم على الاستيقاظ باكراً وعلى الإسراع إلى بيت الروح الأكبر.

تبجّح سن-كا-لب – القيوط – بأنّه سيسبق الجميع. تجوّل بين الحيوانات وأخبرهم أنّه سيكون أوّل الواصلين. لم يكن القيوط يحبّ اسمه؛ وأراد اسماً جديداً. لم يكن ثمّة مَنْ يحترم اسمه، المُقلِّد، ولكنّه كان يليق به. كان يُسمّى سن-كا-لب لأنّه يحبّ تقليد الآخرين. كان يظنّ أنّ بمقدوره فعل كلّ ما يفعله الآخرون، وادّعى معرفة كلّ شيء. يطرح سؤالاً، وحين يأتيه الردّ يندفع للقول:

- «أعرف هذا أصلاً. لا أحتاج إلى مَنْ يخبرني به».

ولكنّ هذا الكلام المتبجّح كان يمنع القيوط من اكتساب أصدقاء. وكذلك لم يكتسب أصدقاء بسبب التصرّفات الحمقاء التي يفعلها، والحِيَل الوقحة التي يحتال بها على الآخرين.

كان يتبجّح: «سأختار واحداً من أعظم ثلاثة أسماء. تلك الأسماء هي: كَلي-لاو-ناو، ابن الجبل – الدبّ الأشهب، الذي سيحكم شعب البرّ ممّن يمشون على أربع قوائم؛ ملكا-نوبس، النّسر الذي سيحكم الطّير؛ إن-تي-تي-أوي، السبّاح البارع – سمك السلمون. سيكون السلمون زعيم الأسماك التي سيقات عليها الخلق الجديد».

انفجر توأم القيوط، الثّعلب، بالضّحك، وهو مَنْ سينال مع شمس اليوم التالي اسم واي-أي-لوه، الفرو النّاعم: «لا تكن واثقاً جداً يا سن-كا-لب. لعلّك ستحتفظ باسمك الذي تحمله الآن. الجميع يكره هذا الاسم. لا أحد سيطلبه».

«سئمتُ هذا الاسم،» صاح القيوط بغضب. «فليأخذه حيوان آخر. فليأخذه أحد العجائز – عجوز يعجز عن الفوز في حرب. ساكون محارباً عظيماً. يا أخي الذكيّ، ساجعلك تتملّقني حين أُسمّى الدبّ الأشهب، أو النّسر، أو السّلمون».

سخر منه الثّعلب: «كلماتك المتبجّحة لا معنى لها. من الأفضل أن تذهب إلى خيمتك، وتأخذ قسطاً من النوم، وإلّا لن تستيقظ في الوقت المحدّد ولن تختار اسماً».

جرّ القيوط نفسه إلى خيمته. قال لنفسه إنّه لن ينام هذه الليلة أبداً؛ بل سيبقى مستيقظاً إلى الصباح. دخل إلى خيمته، فصاحتْ جراؤه بصوتٍ واحد: «لي-إي-أو!» «أبي!».

كانوا جائعين، ولكنّ القيوط لم يجلب طعاماً. أمّا أمّهم، التي صار تُسمّى بل-لاكو-وهو – الخُلْدة، الحفّارة، بعد يوم منح الأسماء، فقد أقعتْ على قدمها عند زاوية عتبة الباب. كانت الخُلْدة امرأة طيّبة، مخلصةً لزوجها على الدوام برغم تصرّفاته الدّنيئة، واختلاقه للمشكلات، وحماقته. لم تكن غيورةً يوماً، ولم تُشنّعْ به بكلمة، ولم تردّ على إساءاته لها بالكلام. نظرتْ إليه وقالت:

«ألم تجلب طعاماً للأطفال؟ إنّهم يتضوّرون جوعاً. لم أجد جذوراً أنبشها».

«هو هوووه!» تذمّر القيوط. «لستُ كائناً عادياً كي أخاطب بهذه الطريقة. ساصبح زعيماً عظيماً في الغد. هل تعرفين هذا؟ سيكون لي اسمٌ جديد. ساكون الدبّ الأشهب. وبذا سألّتهمُ أعدائي بسهولة. ولن أكون بحاجة إليك بعد الآن. صرتِ عجوزاً وبيتوتيّة بحيث لا تصلحين زوجةً لزعيمٍ ومحاربٍ عظيم».

لم تنطق الخُلْدة بكلمة. استدارت إلى زاوية الخيمة وجمعت عدة عظام قديمة، وضعتها في كُلِكٍ تشن (قِدْر الطبخ). وبالاستعانة بغصنين صغيرين التقطتْ أحجاراً ساخنةً من النار ورمتها في القِدْر. سرعان ما غلت المياه، وصارت هناك شوربة خفيفة للأطفال الجياع.

«اجمعي ما يكفي من الخشب للنار» أمرها القيوط. «سأسهر طوال الليل». أطاعته الخُلْدة. ومن ثمّ ذهبت هي وأطفالها للنّوم.

جلس القيوط ساهراً عند النار. مضى نصف الليلة. نعس. ثقل جفناه. لذا التقط قطعتَيْ خشب صغيرتين وباعد بين جفنيه. فكّر: «سأبقى مستيقظاً الآن». ولكن استسلم للنّوم بعد هنيهة وجيزة، مع أنّ عينيه بقيتا مفتوحتين.

كانت الشّمس قد ارتفعت في السّماء حين استيقظ القيوط. لولا أنّ الخُلْدة نادته لم يكن ليستيقظ. نادته الخُلْدة. نادته وأيقظته بعد أن عادتْ باسمه من بيت الروح الأكبر. كانت الخُلْدة تحبّ زوجها. ولم تكن راغبةً في أن يمتلك اسماً عظيماً فيصبح زعيماً قوياً. إذ خشيت أنّه سيتركها حينئذٍ. ولذا لم توقظه مع طلوع الشّمس. ولكنّها لم تصرّح بهذا له.

نصفُ مستيقظٍ بعد، ظانّاً أنّ الوقت ما يزال الصباح الباكر، قفز القيوط عند سماع صوت الخُلْدة وهرع راكضاً إلى بيت الروح الأكبر. لم يكن هناك أحد آخر من جماعة تشب-تشاب-تيكولك. ضحك القيوط. ودخل إلى البيت وهو يرمش بعينيه النّعستين، ثم صاح: «ساصبح كي-لاو-ناو. هذا ما سيصبح عليه اسمي».

«أخذ اسم الدبّ الأشهب منذ الفجر»، أجابه الروح الأكبر.

«إذن سأصبح ملكا-نوبس»، قال القيوط بصوتٍ أخفض.

«طار النّسر مع ارتفاع الشّمس»، ردّ الروح.

«حسناً، سأُسمّى إن-تي-تي-أوي،» قال القيوط بصوتٍ خفيضٍ جداً.

«أخذ اسم السلمون أيضاً،» فسّرَ له الرّوح. «أأخذت الأسماء كلّها ما عدا اسمك. لم يشأ أحد سرقة اسمك منك».

خارت ركبتا القيوط المسكين. انهار قرب النّار التي كانت تتّقد بقوّة في الخيمة، فتأثّر قلب هـا-آه إيل-مي-وهين.

قال له: «سن-كا-لب، لا بدّ أن تحتفظ باسمك. إنّه اسمٌ جيّد يليق بك. نمتُ طويلاً لأثّني أردتُ أن تكون آخر الواصلين هنا. لديّ عمل مهم لك، سيكون لديك عمل كثير تؤدّيه قبل مجيء الجنس الجديد. ستكون زعيم القبائل كلّها.

كائنات سيئة كثيرة تسكن الأرض. إنها تزعج الناس وتقتلهم، ولا يمكن للقبائل أن تتزايد كما أودّ. لا يمكن السّماح لهؤلاء إن-آلت-نا سكل-تن – الوحوش التي تلتهم الناس – بمواصلة ما تفعله. لا بدّ من إيقافها عند حدّها. وستقع عليك مسؤوليّة هزيمتها. وحين تفعل هذا، ومن أجل كلّ الأشياء الجيّدة التي فعلتها، ستُكرَّم وتُبجَّل من الكائنات الموجودة الآن ومن الكائنات التي ستأتي بعدها. ولكن – أيضاً – ستكون موضع سخرية واحتقار للأمور الحمقاء والدّنيئة التي ستقترفها. لا مفرّ من هذا. هذا مسار حياتك المحتوم.

«وكي أُسهّل عليك عملك، سأهبُكَ سكواس-تنك. إنّها قوّتك السحريّة الخاصة. لن يمتلكها أحدٌ سواك. حين تكون في خطر، ومتى ما احتجت إلى عون، استدع قوّتك. ستساعدك كثيراً، وبالاستعانة بها يمكن لك أن تغيّر شكلك إلى أيّة صورة أخرى، وإلى أيّ شكل يحلو لك.

«ولأخيك التوأم، واي-أي-لوه، وللآخرين، وهبتُ قوّة شو-مش. وهي قوّة هائلة. يمكن للثّعلب مستعيناً بهذه القوة أن يعيد لك حياتك لو قُتلتَ. قد تتبعثر عظامك، ولكنْ لو تبقّتْ شعرةٌ واحدةٌ من فرائك، يمكن للثّعلب أن يعيدك حياً من جديد. ويمكن للكائنات الأخرى أن تقوم بالأمر ذاته مستعينةً بقوّة شو-مش. والآن اذهب يا سن-كا-لب! أدِّ العمل الذي كُلِّفتَ به!».

إذن، صار القيوط زعيماً في نهاية المطاف، وأحسّ بالانتعاش من جديد. صارت عيناه مختلفتين منذ ذلك اليوم. صارتا مائلتين بما أنّه تركهما مفتوحتين وهو نائمٌ عند النار تلك الليلة. وقد أخذ الهنود، الجنس الجديد، أعينهم المائلة قليلاً من عينَيْ القيوط.

بعد ذهاب القيوط، فكّر الروح الأكبر أنّ من الجيّد لشعب الحيوان وللشّعب الجديد القادم أن يتمتّعا ببيت بخار الطّهارة الرّوحانيّ. ولكنّ جميع الحيوانات أخذت أسماءً لها، ولم يتبقَّ أحدٌ ليأخذ اسم بيت بخار الطّهارة – كُولْ-ستن، المدفأة. ولذا أخذتْ زوجة الروح الأكبر هذا الاسم. أرادت لجميع الكائنات أن ينتفعوا من بيت بخار الطّهارة، إذ أشفقتْ عليهم. أرادت لهم أن ينالوا مكاناً يلجؤون إليه ليطهّروا أنفسهم، مكاناً يمكن لهم فيه أن يصلّوا من أجل اكتساب القوّة والنّصيب الجيّد ومنافع الطبّ القويّة، حيث يمكن لهم أن يقارعوا المرض ويتخلّصوا من كلّ ما يكدّرهم. تُمثّل الأضلاع، أو أعمدة الإطار، في بيت الطّهارة زوجةَ الروح الأكبر. وبما أنّها روحٌ أيضاً، فهي غير مرئيّة، ولكنّها موجودةٌ في الجوار دوماً. ثمّة أناشيد مُكرّسةٌ لها يغنّيها الجيل الحاليّ. إنّها تسمعهم. تسمع ما يقوله النّاس، وقلبُها مفعَمٌ بالحبّ والرّحمة.

(*) هوميشوما (يمامة الجداد)، كاتبة أميركيّة من السكّان الهنود الأصليّين، اشتُهرت باسمها الأميركيّ «كرستين كُرِنْتاسكِتْ». ولدت عام 1888. اضطرت للتخلّي عن لغتها الأصليّة حتّى كادت تنساها حين تلقّت التعليم في مدارس البعثات التبشيريّة في ولاية واشنطن. ولكنّ قربها من جدّتها لأمّها أكسبها ذخيرةً هائلةً من القصص الفولكلوريّة التي جمعت بعضها في هذه المجموعة التي صدرت عام 1933. وكانت قد أصدرت روايةً «كوغيويا» عام 1927 التي كانت إحدى أوائل الروايات التي كتبتها مؤلّفة من السكّان الأصليّين، وإنْ كانت مجموعة القصص هي التي رسّخت اسمها أكثر. توفيت عام 1936.

(**) حكاية مجتزأة من كتاب «حكايات القيوط»، من تجميع هوميشوما، الصادر حديثاً عن منشورات «تكوين» (الكويت) و«دار الرافدين» (بيروت/بغداد).

منتخبات شعرية

روبرتو خوارّوث: قصائد شاقولية (*)

حصل على العديد من الجوائز منها: جائزة Esteban Echeverría عام 1994، و«جائزة جان ماريو» في مرسيليا، وجائزة «بينالي الشعر الدولي» في ليبج في بلجيكا عام 1992، باستثناء مجموعته «ست قصائد فضفاضة» (1960)، تم تجميع اعماله الشعرية في مجلد تحت عنوان «شعر شاقولي» Vertical Poetry. بالإضافة إلى كتب اخرى كـ «الشعر والإبداع» (حوارات مع كيِيرمو بويدو)، «الشعر والواقع»، «الشعر والادب والتاويل» (حوارات مع تيريسيتا ساكي).

لخوارّوث لغة شعرية مقتضبة، تميل إلى الإيجاز، شعره مفاهيمي بامتياز، يقارب مفاهيم شائكة، كالحياة والموت والعزلة والوجود والشعر. عند سؤاله عن شعره، استشهد روبرتو خوارّوث بإجابة باشو عن اسئلة مماثلة حول كتاباته: «كيف يمكنك ان تشرح شيئا لا تفهمهم؟ وصف الشعر، مثله وصف الحياة او الحبّ، هو امر مستحيل».

تقديم وترجمة **عبد النور زياني**

كلّ قصيدة لروبرتو خوارّوث هي تبلور لفظيّ مفاجئ، لقد حوّل خوارّوث، اللّغة إلى نقطة ضوء، إنّه شاعر اللّحظات المطلقة العظيم. (اكتافيو باث) روبرتو خوارّوث Roberto Juarroz شاعر وكاتب مقالات وناقد ارجنتيني. ولد في كورونيك دوريكو في مقاطعة بوينس ايرس عام 1925 وتوفي في 13 آذار (مارس) 1995. تخرج من قسم الفلسفة والآداب في جامعة السوربون الباريسية. عمل استاذا لمدة ثلاثين عاما في كلية الآداب في بوينس ايرس. اسّس مع ماريو هوراليس المجلة الادبية «شعر=شعر» Poesía = Poesía التي استمر إصدارها من عام 1958 حتى عام 1965. في عام 1958، نشر عمله الشعري تحت عنوان: «شعر شاقولي». ظهر المجلد الثالث عشر في فرنسا، في طبعة ثنائية اللغة. وفي عام 1993، في إسبانيا بعد عام. نشر شعره الكامل في مجلّدين غطيا الكتب الثلاثة عشر. في عام 1997، ظهرت المتوالية الرابعة عشرة بعد وفاته.

1.

أعتقد في هذه اللّحظة
أنّ لا أحدَ في الكون يفكّر بي،
أنا الوحيد الّذي يفكّر بي،
وإذا متّ الآن،
فلا أحد، ولا حتّى أنا، سيفكّر بي.
وهنا تبدأ الهاوية،
كما لو كنت أنام.
أنا سندي الخاص وأستمدّه منّي.
أساهم في إخفاء كلّ شيء بالغياب.
ربّما هذا ما يجعل
من التفكير في شخص ما
شبيهاً بإنقاذه.

2.

يؤلمني التفكير اليوم،
تؤلمني الكتابة باليد،
المتني الكلمة الّتي قلتها بالأمس
وتلك الّتي لم أقلها،
يؤلمني العالم.

ثمّة أيّام مثل أماكن معدّة
لجعل كلّ شيء يتألّم.

الله وحده لا يؤلمني اليوم.
هل لأنّ لا وجود له اليوم؟

3.

لا يتطابق مركز الحبّ
دائماً مع مركز الحياة.
يبحث كلا المركزين عن بعضهما البعض
كحيوانين مضطربين.
ولكن نادراً ما يلتقيان،
لأنّ للتّطابق مفتاحاً آخر:
هو أن يولدا معاً.
أن يولدا معاً،
كما يجب أن يولد ويموت
كلّ العُشّاق.

4.

(إلى إلكين رستربّو)

العالم اسم آخر
لاستعارة غير مكتملة،
تشبيه فقد عنصره الأوّل.
أين يمكن إيجاد ما كان عليه العالم؟
هل اختفى من العبارة أم محوناه؟
أم أنّ الاستعارة
كانت دائماً مبتورة؟

5.

ثمّة بدل تدوم أكثر من الحبّ.
ثمّة بدل تبدأ بالموت
وتسافر حول العالم
والعالمين.
ثمّة بدل لا تبلى
وإنّما تصير أجد.
ثمّة بدل للتعرّي.
ثمّة بدل شاقوليّة
يسقط الإنسان
وتبقى هي منتصبة.

6.

دائماً ما يؤدّي البحث عن شيء ما
إلى العثور على شيء آخر.
لذا، للعثور على شيء ما،
عليك البحث عمّا ليس كذلك.
ابحث عن الطّائر للعثور على الوردة،
ابحث عن الحبّ للعثور على المنفى،
ابحث عن العدم لاكتشاف الإنسان،
عد إلى الوراء للمضيّ قدماً.
يكمن مفتاح الطّريق
في السّخريّة اللّاذعة
لمعناه المزدوج
أكثر ممّا يكمن في مفترقاته،
بدايته المشبوهة،
أو في نهايته المشكوك فيها.
دائماً ما نصل،
ولكن إلى مكان آخر.
كلّ شيء يحدث.
لكن بطريقة عكسيّة.
الثّمرة خلاصة الشّجرة،
الطّائر خلاصة الهواء،
الدّم خلاصة الإنسان،
الوجود خلاصة العدم.
يتمّ إخطار ميتافيزيقا الرّياح
بكلّ الملخّصات
وبالنّفق الّذي تحفره الكلمات
أسفلها.
ليست الكلمة صرخة،
بل ترحيباً أو وداعاً.
الكلمة خلاصة الصّمت،
الصّمت خلاصة كلّ شيء.

(*)Roberto Juarroz: Vertical Poetry, Recent Poems, Translated by Mary Crow, White Pine Press, 2011.

نصان

محنة وكمائن

أحمد الوهيبي *

1. محنة

ربط العجوز جحشه في الخلاء، على عودي النبتة البرية في الخلاء ومضى إلى السوق، ابتهج الجحش بهذه الغنيمة ولمعتْ عيناه البنيتان الصافيتان فرحاً، سرعان ما انطفأ ذاك البريق حين عاد العجوز سريعاً وبيده كيس طحين. وضع الرجل الثمانيني بضع حَجَرات على الأرض فوق بعضها، وحلّ وثاق الجحش باليد التي تمسك العصا، صعد برجل على الحجارة وطوح بالرجل الأخرى في الفراغ متكئاً باليد التي تحمل الكيس على رقبة الجحش. أمر الجحش بالانحناء حتى يثبت جلسته، كان الجحش لا يزال يمضغ ورق النبتة، حار كيف ينحني والقضمة تحتاج منه رفع رأسه حتى يحكم الضغط بقواطعه على الأوراق الخضراء، وبحركة واحدة أحنى رأسه ثم رفعه وقد هبش بكامل اتساع فكيه على الأوراق بقوة أعانته على قضمها وتقطيعها. تحرك بهمة وسرور، جذلاً بإنجازه الأمرين في وقت واحد: إطاعة أمر صاحبه، والفوز بلقمة تسليه في الطريق. فيما استوى العجوز متوازناً برجليه، وأمامه على عنق الجحش يتأرجح كيس الطحين.

2. كمائن

الكمائن نوعان، نوع في رحلات القنص والصيد، وآخر في الحروب والمعارك، كلاهما قائم على الخدعة والحيلة. نوع الحروب يُعرف بالخطط لأنه يستلزم المعسكرات والعدة والعتاد والاستعداد، وتُستخدَم فيه المباغتة والاستدراج، تَشترك في إعداده الطبيعة والخيال الماكر المغامر.

أما النوع الأول، فأعجب ما رأيت في صيد البحر وكمائن الأسماك، حين يتحرك الزورق بسرعة فائقة ساحباً بجانبه الطعم، يسابق السمك الزورق يطارد الطعم حتى يقع في الصنارة.

كمين طائر، يمخر عباب الأمواج، يسمى الترويد، تلاحقه السمكة، تحسب أنها الصياد وهي الطريدة.

وهناك حيّات الصحراء، تنتصب واقفة فاغرة فمها مستندة على ذيلها، تغري الطيور والجراد بظلها وسط البياض، تتشبه بجذع نبتة نحيل محني كعرش النسيم.

هناء هاك الله – «هو/ هي لا صورة لهما» (تجهيز على جدار، 2019)

* أصيلة/ سلطنة عمان

فكر سياسي

ما يخبرنا به التاريخ عن مستقبلنا

ليل الديمقراطية الليبرالية الطويل

مصطفى شلش

السواد الأعظم من الناس اليوم يؤمنون أن الشيوعية كانت وحدة سياسية وإيديولوجية وفكرية واجتماعية لغوية متكاملة. العيش في هذا النظام يعني أنه يجب على المرء أن يطيع توجيهات دقيقة للحزب الحاكم، إلى درجة أنه كان متوقّعاً أن يصبح المرء غير قابل للتمييز في الكلمات والأفكار والأفعال عن ملايين المواطنين الآخرين. روسيا ستالين، صين ماو، ألبانيا الشيوعية، وكوريا الشمالية هي أقرب نموذج إلى ذهنية الناس. أما بالنسبة إلى الديمقراطية الليبرالية، فلا يزال الاعتقاد قائماً بأنه نظام من التنوع الغني. لكن هذا الاعتقاد انحرف عن الواقع، إلى درجة أن النظرة المعاكسة تبدو الآن أقرب إلى الحقيقة. فالديموقراطية الليبرالية هي آلية توحيد قوية، تطمس الاختلافات بين الناس وتفرض التوحيد في الآراء والسلوك واللغة. أخيراً، أعلنت «دار سطور» (بغداد ـ ترجمة رعد زامل) عن قرب صدور النسخة العربية من كتاب «كيف تموت الديمقراطيات ـ ما يخبرنا به التاريخ عن مستقبلنا» لأستاذَي العلوم السياسية في «جامعة هارفرد» دانيال زيبلات وستيفن ليفيتسكي. يأتي الكتاب في ظلّ مناخ سياسيّ يتّسم بتزايد الاستقطاب الأيديولوجي في الديمقراطيات الغربية، لا سيما الولايات المتحدة. «كيف تموت الديمقراطيات» تيمة تحذيرية بلاغية يقدّمها مؤلفا الكتاب كالتالي: «المفارقة المأساوية للطريق الانتخابي إلى الاستبداد هي أن قتلة الديمقراطية يستخدمون مؤسسات الديمقراطية ذاتها، بشكل تدريجي ومهذب وحتى قانوني، لقتلها».

مع نهاية الحرب الباردة، ركّز المؤلّفان على ما اعتبراه ظاهرة مثيرة للاهتمام، هي أنه لم تتم الإطاحة بمعظم الديمقراطيات من الخارج من خلال الانقلابات العسكرية العنيفة، لكن داخلياً من خلال صناديق الاقتراع والاستيلاء اللاحق على المؤسسات السياسية من قبل المستبدين. رغم أن التاريخ لا يعيد نفسه، إلّا أنه «يتناغم»، وهذا التناغم يتمثّل في انتخاب دونالد ترامب عام 2016. يرغب المؤلّفان في الكشف عن أنماط مماثلة، أو «قوافي» كما يقولون، من التآكل المؤسّسي داخل الديمقراطيات في كلّ من الماضي البعيد والقريب.

كما حدّد المؤلفان المؤشرات الأربعة الرئيسية، أو علامات التحذير السلوكية للاستبدادي وهي: الرفض بالقول أو الفعل للقواعد الديمقراطية للعبة، ثانياً، إنكار شرعية المعارضين السياسيين. ثالثاً، التسامح أو التشجيع على العنف. وأخيراً الاستعداد لتقليص الحريات المدنية للمعارضين، بما في ذلك وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي. في الحقيقة، ما يقدّمه الاثنان ضدّ ترامب وموت الديمقراطية الأميركية يدين أكثر المنظومة السياسية ككل، فالإعلام الديمقراطي يحجب صوت المعارضة. وسائل التواصل تشنّ حرباً على حملة ترامب، وهناك حالة إنكار دائم لوجود تيار مساند وطني داعم لإدارة ترامب، وأخيراً دعوة هيلاري كلينتون الديمقراطية لجو بايدن بعدم الاعتراف بالهزيمة حسب قواعد اللعبة الديمقراطية.

ما يحاول المؤلفان تأكيده يدينهما أكثر. تاريخياً، شهد عام 1968، خلال ذروة حرب فيتنام، ترشيح الحزب الديمقراطي لهوبرت همفري، وهو مرشح لم يكن يحظى بشعبية كبيرة. تم هذا الاختيار من دون ما يُعرف الآن بالانتخابات التمهيدية (وسيلة لاستطلاع آراء الناس). بعد الإعلان في المؤتمر الديمقراطي في شيكاغو، اندلعت احتجاجات عنيفة، وامتدت إلى قاعة المؤتمر. وبعد هزيمة همفري من قبل ريتشارد نيكسون في الانتخابات، شكّل الديمقراطيون «لجنة ماكغفرن-فريزر»، ما أدى إلى أن تصبح الانتخابات التمهيدية إلزامية. منذ ذلك الحين، سيتم اختيار المندوبين من قبل أعضاء الحزب، وهؤلاء المندوبون مسؤولون الآن عن اختيار المرشحين الرسميين للرئاسة.

تغيير قواعد اللعبة الديمقراطية عند الحزب الديمقراطي ليس بالأمر الجديد. قبل واقعة همفري، كان 1867 عام قانون إعادة الإعمار، بعد نهاية الحرب الأميركية الأهلية. في ذلك الوقت، كان المواطنون السود الذين مُنحوا حريتهم حديثاً يصوّتون للجمهوريين (حزب أبراهام لنكولن)، خشي الديموقراطيون من أن هؤلاء الناخبين الجدد سيخرجونهم من السلطة في الجنوب، فغيّروا قواعد التصويت من خلال فرض ضريبة على الاقتراع وإدخال «قانون دورتش» الذي أدى إلى تعقيد الاقتراع وطلب أن يكون المواطنون المتعلمون فقط مؤهلين للتصويت. وُضعت القواعد الجديدة لإبقاء الناخبين السود بعيداً عن صناديق الاقتراع، ما يؤكد أن الديمقراطيين ظلوا حزب الجنوب طوال القرن الذي تلاه. لكنهم قوّضوا أيضاً جوهر الديمقراطية المدّعاة لهم الآن، بل وبصورة عنصرية أكثر مما يتّهمون بها خصمهم ترامب اليوم. وعندما تنظر إلى أنشطة الديمقراطيين خلال السنوات المئة الماضية، سيتّضح أنهم كانوا متشدّدين في قضية الحرية على المستوى النظري، ولكن انتهازيين في الممارسة العملية.

في بداية التسعينيات، اكتشف سكّان أوروبا الشرقية، وخصوصاً السياسيين منهم، شيئاً لم يكن يصعب اكتشافه في ذلك الوقت، هو أن الديمقراطية الليبرالية الوليدة ضيّقت بشكل كبير مجال ما هو مسموح به، بشكل لا يصدق. السنة الأخيرة من انحطاط الشيوعية كان لديها روح حرية أكثر من الفترة التي أعقبت إنشاء النظام الجديد. خلقت الديمقراطية الليبرالية إحساساً بفتح العديد من الأبواب وإمكانيات كثيرة للسعي وراءها. سرعان ما تبخر هذا الإحساس، وخفتت الحرية من خلال خطاب «الضرورة» الجديد الذي جلبه النظام الليبرالي الديمقراطي مع نفسه. لم يستغرق الأمر طويلاً لاكتشاف آخر أكثر إحباطاً هو أن هذا الاتجاه الموحّد لم يقتصر على عالم ما بعد الشيوعية، ولم ينتج عن خصوصياته، بل يمكن أن يرى المرء آثاره السلبية طوال تاريخ الديمقراطية الليبرالية داخل الحضارة الغربية.

تبدو حجة المؤلفين ستيفن ليفيتسكي ودانييل زيبلات واهية، بل ذات طابع شخصي ضد فوز دونالد ترامب تحديداً، ويبدو طرحهم لما أسمياه قواعد اللعبة السياسية، وحماية بوابات الديمقراطية المدّعاة لهم الآن، بل وبصورة عنصرية أكثر مما يتّهمون بها خصمهم ترامب اليوم. وعندما تنظر إلى أنشطة الديمقراطيين خلال السنوات المئة الماضية، سيتّضح أنهم كانوا متشدّدين في قضية الحرية على المستوى النظري، ولكن انتهازيين في الممارسة العملية.

في بداية التسعينيات، اكتشف سكّان أوروبا الشرقية، وخصوصاً السياسيين منهم، شيئاً لم يكن يصعب اكتشافه في ذلك الوقت، هو أن الديمقراطية الليبرالية الوليدة ضيّقت بشكل كبير مجال ما هو مسموح به، بشكل لا يصدق. السنة الأخيرة من انحطاط الشيوعية كان لديها روح حرية أكثر من الفترة التي أعقبت إنشاء النظام الجديد. خلقت الديمقراطية الليبرالية إحساساً بفتح العديد من الأبواب وإمكانيات كثيرة للسعي وراءها. سرعان ما تبخر هذا الإحساس، وخفتت الحرية من خلال خطاب «الضرورة» الجديد الذي جلبه النظام الليبرالي الديمقراطي مع نفسه. لم يستغرق الأمر طويلاً لاكتشاف آخر أكثر إحباطاً هو أن هذا الاتجاه الموحّد لم يقتصر على عالم ما بعد الشيوعية، ولم ينتج عن خصوصياته، بل يمكن أن يرى المرء آثاره السلبية طوال تاريخ الديمقراطية الليبرالية داخل الحضارة الغربية.

تبدو حجة المؤلفين ستيفن ليفيتسكي ودانييل زيبلات واهية، بل ذات طابع شخصي ضد فوز دونالد ترامب تحديداً، للشيوعية على أنهم تهديد أكبر للنظام الديمقراطي الليبرالي الجديد من أولئك الذين كانوا أعداءه في اليوم السابق فقط. بالإضافة إلى مزاياهم العملية، تمتّع الشيوعيون السابقون بميزة إيديولوجية غامضة، هي أنهم أدركوا أن الديمقراطية الليبرالية ما هي إلا قواعد ولعبة مصالح معولمة.

عند قراءة كتاب «كيف تموت الديمقراطيات...»، ستجد أنّ مؤلفي الكتاب لديهما إيمان دوغمائي بتاريخ أحادي الاتجاه يدور حول الإنسان فقط. وهناك علاقة ملحوظة بين النظام السياسي وذلك الإنسان المتخيل، علاقة لم يشهدها التاريخ من قبل، وقد حاول الشيوعيون تشكيل رجل شيوعي يناسب مؤسسة ومنطق النظام الشيوعي، لكنّهم تجرعوا كأس الهزيمة. لكن من حيث فشلوا، أثبت الديمقراطيون الليبراليون نجاحهم. وإذا كان هناك أي نظام مصمّم بشكل مثالي لتطلعات الأشخاص الذين يدورون في فلكه، ستجد أنه الديموقراطية الليبرالية. وإذا كان هناك أي إلى ديمقراطيين اجتماعيين أو ليبراليين، وسيطروا على النقاش وشكلوا الحكومات. لم يكن هذا النموذج محصوراً في أوروبا الشرقية، بل في أوروبا الغربية كذلك. يبدو أن المؤسسات العامة والخاصة، بما في ذلك هيئات الاتحاد الأوروبي صارت ترى الشيوعيين السابقين أكثر ملاءمة من المنشقّين السابقين كشركاء في السياسة والأعمال. كان الأمر يبدو تقريباً كما لو كان يُنظر إلى الديمقراطيين المناهضين للشيوعية على أنهم تهديد أكبر للنظام الديمقراطي الليبرالي الجديد من أولئك الذين كانوا أعداءه في اليوم السابق فقط. بالإضافة إلى مزاياهم العملية، تمتّع الشيوعيون السابقون بميزة إيديولوجية غامضة، هي أنهم أدركوا أن الديمقراطية الليبرالية ما هي إلا قواعد ولعبة مصالح معولمة.

عند قراءة كتاب «كيف تموت الديمقراطيات...»، ستجد أنّ مؤلفي الكتاب لديهما إيمان دوغمائي بتاريخ أحادي الاتجاه يدور حول الإنسان فقط. وهناك علاقة ملحوظة بين النظام السياسي وذلك الإنسان المتخيل، علاقة لم يشهدها التاريخ من قبل، وقد حاول الشيوعيون تشكيل رجل شيوعي يناسب مؤسسة ومنطق النظام الشيوعي، لكنّهم تجرعوا كأس الهزيمة. لكن من حيث فشلوا، أثبت الديمقراطيون الليبراليون نجاحهم. وإذا كان هناك أي نظام مصمّم بشكل مثالي لتطلعات الأشخاص الذين يدورون في فلكه، ستجد أنه الديموقراطية الليبرالية. وإذا كان هناك أي إلى ديمقراطيين اجتماعيين أو ليبراليين، وسيطروا على النقاش وشكلوا الحكومات. لم يكن هذا النموذج محصوراً في أوروبا الشرقية، بل في أوروبا الغربية كذلك. يبدو أن المؤسسات العامة والخاصة، بما في ذلك هيئات الاتحاد الأوروبي صارت ترى الشيوعيين السابقين أكثر ملاءمة من المنشقّين السابقين كشركاء في السياسة والأعمال. كان الأمر يبدو تقريباً كما لو كان يُنظر إلى الديمقراطيين المناهضين

قتلة الديمقراطية يستخدمون مؤسسات الديمقراطية ذاتها

ديوان

عبد الخالق كيطان حاملاً ألمه وقدره الشعري

سارة سليم

«العراقي كائن عجيب متشكّل من أقدار مدمَرة، من قساوة منقطعة النظير، العراقي دمه محروق على الدوام، فكيف تريده أن يقتنع بمكان!». هكذا تكلّم الشاعر العراقي المهاجر عبد الخالق كيطان صاحب ديوان «نازحون» الحائز جائزة الراحل عبد الوهاب البياتي عام 1988، وقد وصفت لجنة التحكيم آنذاك شعره بأنه «شعر ناتئ، نصّ عارٍ في شعر ليس ناعماً، لكنه ينعم في بحبوحة الكلام الملقى جزافاً». إنه عبد الخالق كيطان، هذا الشاعر الذي لا يقول حين يتكلم كلاماً بل يقول شعراً، فهو القائل إنّه «كان مهووساً بالتجريب، لكن جاءت الحرب لتقلب الموازين، ولتصبح الحياة أهم من الشعر والقصيدة، فصار الشاعر يفتّش في الواقع عن قصص تصلح لتكون قصائد». على حدّ تعبيره: «لم أكن وحدي صاحب لغة حادّة بل الواقع كان حادّاً». لذا نرى في قصائده الواقع من دون تزييف، ذلك الواقع الممزوج بالإبداع والألم.

لم يحمل عبد الخالق كيطان في حقيبته وأسفاره سوى ألمه وقدره الشعري، إذ أن الحياة نصبت له الكثير من الكمائن التي ما كان لينجو منها لولا الشعر الذي اختاره مرفأً ليعيد منه خلق العراق الذي قال إنه خرج منه وهو يكره الحياة. لكن أستراليا أعادت له حب الحياة، فهي لم تشعره بالغربة لأنها وطن المهاجرين، لربما أعادت بعث العراق من جديد في نفسه وهو المسكون بهاجس القضايا العربية.

يعود هذا الشاعر بديوان جديد في عام 2020 المليء بالأزمات والكوارث، التي شلّت حركة البشر وجعلتهم في منفى قسري داخل بيوتهم إلى أجل غير مسمى. قبل أن ندخل في قصائد ديوانه الجديد «النوم في محطة الباص» (دار الورشة ـ بغداد)، نتوقف عند العنوان الذي يعدّ عتبة مهمة جداً للتعريف بالنص لما يحمله من رمزية.

مَن قرأ دواوينه السابقة وعرف النزر اليسير عن تجربته الحياتية والشعرية، يوقن أنّ «النوم في محطة الباص» يلخّص عبارة قالها عبد الخالق في حوار له بأنّه «هارب من شيء لا يعرف ما هو»، أي أنه غير مرتبط بمكان، بل هو في حالة فرار وانتظار دائم، متأهّب للذهاب إلى مكان لم يتّسع له أفق الرؤية، ولربما مكانه المخيالي هو العراق الذي تمناه وأراده.

عندما نقرأ قصائد هذا الديوان الواحدة تلو الأخرى، تتشكّل لدينا الرؤية، وتتجلى لنا المشاهد، أو لنقل المشاهد التي حاول أن يرسمها المؤلف عبر قصائد يتسع من خلالها فضاء الرؤية، وهو القائل عن نفسه إنّه تعلم من معلّمه الأول بدر شاكر السياب فضاء الرؤية. هذا الفضاء الذي سمح لنا أن نطلّ على العراق اليوم وعراق الأمس عبر قصائد تتحدث عن الحياة وعبثها، تتناول الهجرة غير الشرعية لمن ضاقت بهم الأوطان: «هذه الحياة مستودع للعبث والعنف/ وأنت وحدك أيتها الموجة، من تستطيعين حماية أطفالنا». كتب أيضاً، وهو العراقي، قصيدة تشي بالألم في صدفه الموجع بعنوان «نزهة المشتاق في شوارع العراق»: «لا أقسم بالجثث والرؤوس القطيعة/ بل بالوطن الذي يدمن النسيان/ أقسم بالجواري/ بالمصاحف/ بأن البلاد محض اكتئاب... /مناسبة مستمرة للعويل».

ولأنّ الفقدان أحد الهواجس التي تؤرق الشاعر وتجعله يكتب شعراً، فإن كيطان وصف الفقدان بعبارة توثق للحضور أكثر منها للفقدان: «كل يوم أتفقد رأسي كي أتقيّن أنك ما زلت مقيماً ولم تبرح مكانك». يتناول في مجمل قصائده الحرب وآثارها على الإنسان وما يمكن أن تتركه، بخاصة على الفرد الذي غادر وطنه مرغماً. سيظل دائماً ينخره وجع لا يعرف كيف يسكنه ولا متى سيخف: «إننا قد نلحق بغدٍ قد يكون بلا قتلى/ أو ربما وضع إكليل من الزهور على قبر جندي أوهمناه بالشعارات: حروب تدور، طائرات تقلع، وقذائف تتساقط مثل الغبار الأحمر/ ولكنك لا ترين ذلك». في قصائده تصوير واقعي وحقيقي للسياسات العربية التي دمّرت شعوباً باسرها من دون أن يرفّ لها جفن، فالمطّلع على قصائده يدرك تماماً أنه حدد هذا الشرخ الأخلاقي في أكثر من موضع: «المكان وبرغم المدنيين، يصير ساحة معركة لا تمتّ للشرف بصلة».

لا شك في أن من يقرأ ديوان كيطان ويشاهد حواراته، يدرك تماماً أنه أمام شاعر حقيقي يكتب شعراً واقعياً ينطلق من اليوميات. شعر قصصي، يشبه إلى حدّ ما السيرة الذاتية. شعر يقول الكثير عن عالم محفوف بشعراء السيلفي والفيسبوك، هو الذي قال في حوار له بوصفه لاجئاً سياسياً بقوله: «يبقى ماركس لاجئاً بيننا، ممجّداً، مقدّساً، ملعوناً، لكن يبقى لاجئاً مغيّباً كما كان طوال حياته». في هذه الفترة، ركّز ماركس اشتغالاته الفكرية على النتائج شديدة القسوة للكولونيالية الفرنسية في الجزائر وعلى المقاومة الشرسة التي أبداها العرب والبربر في مواجهة هذا الغزو، مشدّداً على الطابع الرأسمالي لهذا الغزو، الذي اقتلع جذور الملكية التشاركية القروية، بخلاف الغزو العثماني. كما سيدرس ماركس مجتمعات مثل الهند وإندونيسيا وروسيا والصين وبولندا وأميركا اللاتينية باعتبارها خرائط هامشية بالنسبة إلى المركزية الأوروبية، لكنه سيعوّل عليها تدريجاً لاعتقاده بأنه «كلما تغلغلت الحداثة الرأسمالية في روسيا وآسيا مُقوّضة الأنظمة ما قبل الرأسمالية لهذه المجتمعات، برزت مواقع مقاومة جديدة».

اعتمد كيفن أندرسون في تطريز حياة ماركس على نصوصه التحليلية النقدية للمجتمعات غير الغربية، وللإثنية العرقية والقومية، النصوص التي تتفوّق أحياناً على ما كتبه حول الاقتصاد السياسي، خصوصاً في ما يتعلّق بروسيا والهند والصين، كما حول العرق والعبودية في أميركا. وإذا به يتجاوز موقعه كمنظّر للاقتصاد السياسي، و«بطل الطبقة العاملة الصناعية» نحو «المفكّر النقدي للحداثة الرأسمالية، والفيلسوف الديالكتيكي، وعالم اجتماع الاغتراب، والناقد الثقافي». وسينعطف في كتاباته الصحافية من التمسّك بأنموذج لتطوّر أحادي خطيّ ستسير المجتمعات غير الغربية به إلى قراءات أعمق تنطوي على فهم مغاير لواقع هذه البلدان (الكولونيالية البريطانية في الهند)، معتبراً أن الهند المجزّأة «فريسة حتمية للغزاة»، و«حرب الأفيون في الصين»، وروسيا كجغرافيا للنظام الشمولي والحكم المطلق، و«مستنقع العبودية الدموي للمغول» قبل أن يغيّر من توجهه في تناول روسيا إثر «انتفاضة الاقنان» معوّلاً على إنتاج ثورة بتأثير الغرب، فيما سيعتبر بولندا «ميزان الحرارة الخارجي للثورة في أوروبا». وربط انعتاق بولندا من قبضة جيرانها الأقوياء، فقط عندما «تحظى الشعوب الأوروبية بالديمقراطية». وسيعتبر في كتاباته الأخيرة ورسائله إلى إنجلز حول بولندا (1867) بأن «بولندا ... الشعب الأوروبي الوحيد الذي حارب ولا يزال يحارب كجنديّ عالمي للثورة».

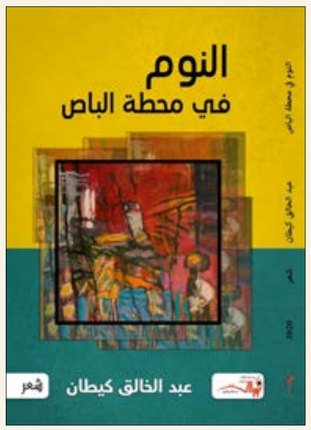

تعلّم من معلّمه الاول بدر شاكر السياب فضاء الرؤية

عدا إنجازه الجزء الأول من «رأس المال» في ستينيات القرن التاسع عشر، التفت ماركس إلى معالجة «العِرق، الطبقة والعبودية»، معتبراً أن الحرب الأهلية الأميركية (1861- 1865) واحدة من معارك القرن الكبرى في سبيل التحرّر الإنساني. يفصح ماركس بحزم، في سلسلة مقالات، عن ضرورة إلغاء العبودية، بعكس اشتراكيين آخرين. كما سيختلف مع إنجلز في رؤيته لمآلات الحرب الأهلية الأميركية. ولكن ماذا بخصوص رحلة «رأس المال» من لغة إلى أخرى؟ ههنا يتعامل كيفن أندرسون مع هذا الكتاب بوصفه نصّاً سردياً تاريخياً عن تكوّن وعي الطبقة العاملة بذاتها ومقاومتها للحطّ من إنسانيتها، بالاتكاء على هيغل ومفهوم «نفي النفي»، وصولاً إلى «اتحاد الكائنات البشرية الحرّة والعاملة في ظل ملكية جماعية لوسائل الإنتاج». ستخضع رائعة ماركس هذه إلى تعديلات واضحة من نسخة إلى أخرى، قبل أن تتخذ شكلها النهائي على يد إنجلز في طبعتها الألمانية المعتمدة إلى اليوم. وبصرف النظر عن ثقل المصطلحات الاقتصادية، إلا أننا نلمح وصفاً شعرياً يتسلل إلى سرديات «رأس المال»: «يكاد لا يمكن إيجاد مثيل لهذه الفاجعة في تاريخ التجارة. لقد اصطبغت سهول الهند بيباض عظام ناسجي القطن التي تغطيها» يقول. هناك أيضاً، نصوص ماركس المتأخرة حول المجتمعات غير الأوروبية وما قبل الرأسمالية، وتشتمل على ملاحظات واقتباسات تنطوي على انعطافة في اهتماماته، والتي اعتبرها بعض نقّاده «حذلقة يتعذّر تسويغها»، نظراً إلى تعلّقها بقضايا بعيدة عن الاقتصاد السياسي، مثل الجندر والطبقات في مناطق وحضارات مختلفة. وسيرى آخرون أن هذه الملاحظات تُظهر ماركس بوصفه «قارئاً» يتحرّك نحو آفاق جديدة، إذ يصف الكولونيالية البريطانية بأنها «أقحمت الشكل الأكثر نهباً للرأسمالية، وحوّلت أشكال ملكية الأراضي الضاربة في القدم إلى ملكية خاصة حصرية في أيدي المرابين والمضاربين». هذا المنظور المتغيّر لما ورد في «البيان الشيوعي» يُظهر ماركس ديالكتيكياً أكثر في قضايا العبودية والإثنية والكولونيالية، وتبدّل العلاقات الجندرية. يتساءل كيفن أندرسون أخيراً «ما الذي تستطيع نظرية ماركس الاجتماعية متعدّدة مسارات التطوّر، الديالكتيكية والمنفتحة على حضارات متعددة، أن تخبرنا به عن الرأسمالية في عصرنا هذا؟». ويجيب «إنني أعتقد أن كتابات ماركس، سواء لأنها نظرية أم لأنها منهج في البحث والتحليل والكشف، تقدّم لمصلحة الحركات الوطنية الأصلانية في وجه العولمة الرأسمالية». نخلص إلى أنّ علينا ألّا نستغرب رؤية ماركس يتجوّل في شوارع «وول ستريت» مثل شكسبير آخر في الاقتصاد السياسي!

دراسة

كيفن ب. أندرسون: ماركس... شكسبير الاقتصاد السياسي!

خليل صويلح

ينسف كيفن ب. أندرسون في كتابه «ماركس ومجتمعات الأطراف» (2010) الذي انتقل أخيراً إلى العربية (دار نينوى ـ ترجمة هشام روحانا) الادعاءات العمومية التي اختزلت صورة صاحب «رأس المال» بمفكّر المركزية الأوروبية حتى في تطلعاته نحو المجتمعات الأخرى، وذلك بإماطته اللثام عن كتاباته المتأخّرة والمجهولة نسبياً، وهي في معظمها تتعلق بنقده للكولونيالية وتشريحه لقضايا التحرّر الوطني والعنصرية والعبودية والمساواة الجندرية. تكشف نصوصه الفرعية إذاً عن مزاج طليعي في تفكيك العلاقة بين الاقتصاد والأنثروبولوجيا، حين أعاد التفكير بمفاهيمه القديمة المتّصلة بالتطور الاجتماعي، «واضعاً المجتمعات الطرفية غير الأوروبية الغربية في مركز اهتمامه، ليوحي بأن هذه المجتمعات قد تقود التحوّل الثوري».

يسعى الباحث الأميركي هنا إلى إظهار ماركس كمفكّر مبدع للقرن الحادي والعشرين، رغم محاولات خصومه دفنه مرّة تلو أخرى، ذلك أن طيفه يحوم مجدّداً، كلّما تعلّق الأمر بأمراض الرأسمالية وهزائمها، بصرف النظر عن محاولات ورشات الليبرالية الجديدة والاستشراق إزاحته جانباً بنظريات مختلفة. فقوة الدفع لدى ماركس تتمثّل في أنه وضع نظرية في التاريخ متعدّدة المسارات، لا يمكن اختزالها بإطار واحد. ويشير جاك دريدا إلى أن ماركس احتل موقعاً هامشياً إثر استقراره في لندن، أحادي خطيّ ستسير المجتمعات غير الغربية به إلى قراءات أعمق تنطوي على فهم مغاير لواقع هذه البلدان (الكولونيالية البريطانية في الهند)، معتبراً أن الهند المجزّأة «فريسة حتمية للغزاة»، و«حرب الأفيون في الصين»، وروسيا كجغرافيا للنظام الشمولي والحكم المطلق، و«مستنقع العبودية الدموي للمغول» قبل أن يغيّر من توجهه في تناول روسيا إثر «انتفاضة الاقنان» معوّلاً على إنتاج ثورة بتأثير الغرب، فيما سيعتبر بولندا «ميزان الحرارة الخارجي للثورة في أوروبا».

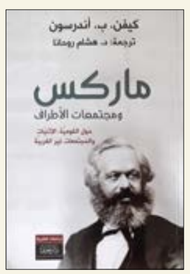

تشريح قضايا التحرّر الوطني والعنصرية والعبودية والمساواة الجندرية

وربط انعتاق بولندا من قبضة جيرانها الأقوياء، فقط عندما «تحظى الشعوب الأوروبية بالديمقراطية». وسيعتبر في كتاباته الأخيرة ورسائله إلى إنجلز حول بولندا (1867) بأن «بولندا ... الشعب الأوروبي الوحيد الذي حارب ولا يزال يحارب كجنديّ عالمي للثورة».

عدا إنجازه الجزء الأول من «رأس المال» في ستينيات القرن التاسع عشر، التفت ماركس إلى معالجة «العِرق، الطبقة والعبودية»، معتبراً أن الحرب الأهلية الأميركية (1861- 1865) واحدة من معارك القرن الكبرى في سبيل التحرّر الإنساني. يفصح ماركس بحزم، في سلسلة مقالات، عن ضرورة إلغاء العبودية، بعكس اشتراكيين آخرين. كما سيختلف مع إنجلز في رؤيته لمآلات الحرب الأهلية الأميركية. ولكن ماذا بخصوص رحلة «رأس المال» من لغة إلى أخرى؟ ههنا يتعامل كيفن أندرسون مع هذا الكتاب بوصفه نصّاً سردياً تاريخياً عن تكوّن وعي الطبقة العاملة بذاتها ومقاومتها للحطّ من إنسانيتها، بالاتكاء على هيغل ومفهوم «نفي النفي»، وصولاً إلى «اتحاد الكائنات البشرية الحرّة والعاملة في ظل ملكية جماعية لوسائل الإنتاج». ستخضع رائعة ماركس هذه إلى تعديلات واضحة من نسخة إلى أخرى، قبل أن تتخذ شكلها النهائي على يد إنجلز في طبعتها الألمانية المعتمدة إلى اليوم. وبصرف النظر عن ثقل المصطلحات الاقتصادية، إلا أننا نلمح وصفاً شعرياً يتسلل إلى سرديات «رأس المال»: «يكاد لا يمكن إيجاد مثيل لهذه الفاجعة في تاريخ التجارة. لقد اصطبغت سهول الهند بيباض عظام ناسجي القطن التي تغطيها» يقول. هناك أيضاً، نصوص ماركس المتأخرة حول المجتمعات غير الأوروبية وما قبل الرأسمالية، وتشتمل على ملاحظات واقتباسات تنطوي على انعطافة في اهتماماته، والتي اعتبرها بعض نقّاده «حذلقة يتعذّر تسويغها»، نظراً إلى تعلّقها بقضايا بعيدة عن الاقتصاد السياسي، مثل الجندر والطبقات في مناطق وحضارات مختلفة. وسيرى آخرون أن هذه الملاحظات تُظهر ماركس بوصفه «قارئاً» يتحرّك نحو آفاق جديدة، إذ يصف الكولونيالية البريطانية بأنها «أقحمت الشكل الأكثر نهباً للرأسمالية، وحوّلت أشكال ملكية الأراضي الضاربة في القدم إلى ملكية خاصة حصرية في أيدي المرابين والمضاربين». هذا المنظور المتغيّر لما ورد في «البيان الشيوعي» يُظهر ماركس ديالكتيكياً أكثر في قضايا العبودية والإثنية والكولونيالية، وتبدّل العلاقات الجندرية. يتساءل كيفن أندرسون أخيراً «ما الذي تستطيع نظرية ماركس الاجتماعية متعدّدة مسارات التطوّر، الديالكتيكية والمنفتحة على حضارات متعددة، أن تخبرنا به عن الرأسمالية في عصرنا هذا؟». ويجيب «إنني أعتقد أن كتابات ماركس، سواء لأنها نظرية أم لأنها منهج في البحث والتحليل والكشف، تقدّم لمصلحة الحركات الوطنية الأصلانية في وجه العولمة الرأسمالية». نخلص إلى أنّ علينا ألّا نستغرب رؤية ماركس يتجوّل في شوارع «وول ستريت» مثل شكسبير آخر في الاقتصاد السياسي!

أوراق

بطلميوس ومكة

زكريا محمد*

أخبرنا بطلميوس، الجغرافي اليوناني السكندري في كتابه «الجغرافيا» الذي ألّفه بين عامي 141- 147 ميلادية عن مدينة في شمال الجزيرة العربية تدعى «ماكورابا». وبدءاً من القرن السابع عشر الميلادي، ربط بعض الباحثين الغربيين بين «ماكورابا» و«مكة»، كما بين إيان موريس في ورقته المهمّة الصادرة عام 2018 عن «مكة وماكورابا العصور الوسطى». وهي ورقة غنيّة استعرض فيها محاولات حلّ لغز ماكورابا. وأعتقد أن نشرها سيسهم في حل مسألة «ماكورابا». لكن عليّ أن أقول أنه يجب الفصل بين الاستعراض التاريخيّ الممتاز لمحاولات حلّ اللغز وبين فرضية موريس القائلة بأن «ماكورابا» يجب أن تكون في جنوب الجزيرة العربية لا في شمالها، استناداً إلى مشاكل خرائط بطلميوس. فهذه الفرضية خاطئة في رأيي، ومن شأن اتّباعها أن يعيدنا إلى نقطة الصفر بشأن مكة وماكورابا. فقد مثّل اقتراح الربط بين مكة وماكورابا في اعتقادي مفتاحاً مركزياً من مفاتيح فهم تطوّر مكة الديني، كما سأبيّن لاحقاً.

وكان الجدال قد دار تاريخياً، تبعاً لموريس، حول إيجاد جسر ما بين كلمتَي ماكورابا ومكة. أو قل حول إيجاد تفسير يبيّن كيف تحوّل الاسم مكة إلى ماكورابا عند بطلميوس: «تظل المشكلة أن ماكورابا ومكة كلمتان مختلفتان. وإذا رأينا مكة في النصف الأول من ماكورابا، فإن علينا أن نفسّر النصف الثاني. فإن كانت مكة اختصاراً لماكورابا، فإنّه يلزم لنا أن نوضح كيف حصل ذلك. وإن كانت ماكورابا لقباً لمكة، فإنه يستدعي توضيحاً أيضاً» (إيان موريس).

وقد وضع عندنا الدكتور جواد علي مقترحاً لحلّ المشكلة يقول إن الكلمة ليست اسماً لمكة بل نعت لها: «لفظة مكربة Macoraba عربية أصابها بعض التحريف ليناسب النطق اليوناني، أصلها مكربة أي مقربة من التقريب. وقد رأينا في أثناء كلامنا على حكومة سبأ القديمة، إنّ حكامها كانوا كهاناً، أي رجال دين، حكموا الناس باسم آلهتهم. وقد كان الواحد منهم يلقّب نفسه بلقب «مكرب» أي «مقرب» في لهجتنا. فهو أقرب الناس إلى الآلهة وهو مقرِّب الناس إلى آلهتهم، وهو مقدس لنطقه باسم الآلهة، وفي هذا المعنى جاء لفظة «مكربة»، لأنها «مقربة» من الآلهة، وهي تقرب الناس إليهم» (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام).

والحقّ أن هذا رأي ضعيف. ولو كان متوفراً للدكتور علي ما هو متوفّر لنا الآن حول ماكورابا لتخلّى عنه.

وعلى أيّ حال، فقد قدمت مقترحات عديدة، غربية وعربية، لحلّ مشكلة ماكورابا فصّلها لنا موريس في دراسته المذكورة أعلاه. وهذه أهم المقترحات في نقاط:

1 - صمويل بوخارت Samuel Bochart اقترح في القرن السابع عشر أن ماكورابا تعني: مكة العظمى. ويبدو أنه استند للفينيقية بشأن كلمة «رابا». ذلك أن الكلمة تعني: العظيم، في الفينيقية والعبرية والآرامية.

2 - في عام 1766 ربط الجغرافي دانفيل J.B.B. d'Anville بين «ربة عمّون» المؤابية، التي هي عمّان الحالية في الأردن، وبين ماكورابا. وقد افترض، تبعاً لفكرة أن رابا تعني العظيم، أن «ربة عمون» تعني «عمون العظيمة» وأن عظمتها آتية من عظمة معبدها.

3 - ألويس سبرنغر Aloys Sprenger اقترح في 1875 أن «ربة» تعني العاصمة. بالتالي، فربة عمون تعني «عاصمة عمون». بناء على ذلك، فماكورابا ستعني: مكة العاصمة.

4 - في 1711 اقترح جون شاردن Jean Chardin أن ماكورابا تعني «مكة العرب» أو «مكة العربية».

5 - في عام 1825، وافق القسّ اللبناني سمعان السمعاني، الذي درس في الفاتيكان، في كتاب له عن الكنيسة النسطورية على أن ماكورابا تعني «مكة العظمى»، لكنّه افترض أيضاً أنها قد تكون تحريفاً لكلمة «محراب» بمعنى المعبد.

6- بعد ذلك صار الفرض الأكثر شيوعاً أن ماكورابا أتت من «مكرب» العربية الجنوبية التي تعني «المعبد». إنها إذا «المكرب»، أي المعبد.

وهناك مقترحات أخرى مثل أنّ الكلمة على علاقة بمأرب. لكن المقترحات أعلاه هي أهم المقترحات في ما أرى.

ماكورابا وربّة عمون

وأنا أظن أن مقترح دانفيل الذي ربط بين «ماكورابا» و«ربة عمون» هو المقترح الأهم بين المقترحات أعلاه. لذا سأنطلق منه لأقدّم فرضيتي الخاصة حول ماكورابا.

فرضية تقوم على أن الاسم ماكورابا مقلوب عند بطلميوس، وأنه في الأصل «ربّة مكو»، كما هو الحال في «ربّة عمون». وليس هذا بالغريب. فاللغات الهندو- أوروبية تعكس المضاف والمضاف إليه مقارنة باللغات السامة. ففي السامية يقال: «كتاب الولد»، أي أنها تبدأ بالمضاف. لكن اللغة الإنكليزية مثلاً تبدأ بالمضاف إليه، أي بالولد: The boys book. عليه، يجب أن نقلب الاسم كي نتمكّن من فهمه: «رابا ماكو»، أي أنه في الحقيقة «ربة مكو». وهذا يشبه تماماً «ربة عمون».

الربة

لكن ربة عمون لا تعني «عمون العظيمة» ولا «العاصمة عمون» كما افترض دانفيل، بل تعني بيت الإله عمون، أو كعبة عمون. كما أن «ربة مكو» لا تعني مكة العظيمة أو مكة العاصمة. فالربّة تعني الدار الضخمة الكبيرة: «دارٌ رَبَّة: ضخمةٌ؛ قال حسان بن ثابت: وفي كلِّ دارٍ رَبَّةٍ، خَزْرَجِيَّةٍ، وأَوْسِيَّةٍ، لي في ذراهُنَّ والِدُ» (لسان العرب). ولأن معابد الآلهة، ذكوراً وإناثاً، كانت بيوتاً ضخمة، فقد قيل لهذه المعابد: ربة، مثل معبد نجران، أو كعبة نجران: «الرَّبَّةُ كَعْبَةُ كانت بنَجْرانَ لِمَذْحِج وبني الحَرث بن كَعْب، يُعَظِّمها الناسُ» (لسان العرب). الكعبة هي البناء المكعب أصلاً. أما الربة فهي الدار الضخمة. من أجل هذا، فقد كان للإله اللات ربته، أي داره الكبيرة، في الطائف. لكن لأن الغالبية تعتقد خطأً أن اللات إلهة أنثى، فقد ظنوا أن كلمة «الربة» حين ترد مع اللات تعني: الإلهة، كما في حديث عروة بن مسعود الثقفي: «وفي حديث عروة بن مسعود، رضي الله عنه: لما أسلم وعاد إلى قومه، دخل منزله، فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتي الربة، يعني اللات، وهي الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف بالطائف» (لسان العرب). وكما نرى، فقد فهمت كلمة الربة في جملة «قبل أن يأتي الربة» على أنها تعني اللات. وهذا غير صحيح. فالربة هنا بيت الإله اللات. يؤيّد ما نقول هذا المقتبس من ابن الأثير المحدث عن هدم ربة اللات في الطائف:

«ومنه حديث عروةَ بن مسعود لمَّا أسلم وعاد إلى قومه دخَل منزله فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتي الرَبَّة يعني اللاَّت، وهي الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف بالطائف. ومنه حديث وفد ثقيف كان لهم بيت يسمُّونه الرَّبَّة يضاهئون به بيت الله تعالى، فلما أسلموا هدمه المغيرة» (ابن الأثير المحدث، النهاية في غريب الحديث والأثر)

> كان هناك إله محدّد يدعى «مكو» له ربة، أي معبد كبير

في النص أعلاه رأيان: الرأي الأول يقول إن الربة هي الإلهة اللات وصخرتها. وهذا نابع من فرضية خاطئة تقول إن اللات إلهة أنثى. أما الرأي الثاني فيقول إن الربة هو اسم بيت ثقيف، الذي هو بيت إلهها اللات، الذي هدمه المغيرة بعدما أسلم. وهو ما يرد عند الزمخشري بوضوح تام: «وكان لهم بيت يسمونه الربة كانوا يضاهون به بيت الله الحرام، وكان يُستر، ويُهدي إليه، فلما أسلموا جاء المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين [الفأس] فهدمها، فبُهتت ثقيف» (الزمخشري، الكشاف).

بناء عليه، فلدينا «ربة» للإله اللات، أي بيت الإله اللات، وربة لنجران (كعبة نجران). بذا يحقّ لنا أن نفترض أن «بيت مكة»، أو «كعبة مكة»، أو كعبة قريش، كانت تدعى «ربة مكو»، تبعاً لخبر بطلميوس.

مكو ومكة

إذن، فقد كان هناك إله محدد يدعى «مكو» له ربة، أي معبد كبير. وكان هذا البيت يدعى «ربة اللات»، أي بالضبط مثل بيت الإله عمون الذي كان يدعى «ربة عمون». وهنا يجب أن أذكّر أنني بينت في كتبي ومقالاتي السابقة أنه كان لدينا في مكة في نهايات العصر الجاهلي إلهان هما: ذو بكة وإله آخر له علاقة بطائر يدعى المُكّاء. أما ذو بكة، فقد حدثَتْنا المصادر العربية الكلاسيكية أنه عثر على نقش له في بئر الكعبة، أو في مكان آخر منها. وهذا النقش يقول حسب ابن إسحق: «أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصنعت الشمس والقمر، وحففتهما بسبعة أملاحك حنفاء لا يزولون حتى تزول أخاشبها» (ابن اسحق، السيرة النبوية). بالتالي، فقد ظلت الذاكرة المكية تحفظ هذا الإله حتى عصر التدوين.

أم الإله الآخر فقد ذكر الطائر المرتبط به فقط: أي طائر المُكّاء. وقد ذُكر هذا الطائر بشكل غير مباشر في سورة الأنفال 35: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية». فالمُكّاء هو صوت طائر المُكّاء. وكان الجاهليون يقلدون صوته في صلواتهم. وهناك روايات توحي بربط هذا الطائر بجبل الصفا. كما أن هناك روايات تربط بين طقس المكو، أي تقليد صوت طائر المكاء عبر الصفير، بهذا الجبل أيضاً. وآية الأنفال تشير إلى طقس المكو هكذا، وتسميه مُكَاء. بذا يمكن لنا أن نفترض أن «التصدية» كانت طقساً مرتبطاً بالمروة. وهو ما يفترض أن الإله ذا بكة كان مرتبطاً بالمروة. ويبدو أن الإله المرتبط بطائر الماء هو الإله «مكو» الذي يرد في اسم بطلميوس (ماكورابا). أي أن النصف الأول في الكلمة «ماكو» يجب أن يقرأ «مكُو». لم أكن أعرف وقت كتابة كتابي المذكور أن اسم هذا الإله هو «مكو». كنت أعرف أنه مرتبط بطائر المكاء، بل كنت حتى أظن أن اسمه هو المكاء. لكن يتضح الآن أن «مكو» هو اسم الإله، وأن الطائر أخذ اسمه من اسم هذا الإله، لأنه يمثله، ويمكو مكوه، أي يصفر صفيره.

وتصديقاً لهذا، فقد وردت أسماء ثمودية مركبة تحمل اسم الإله المكاء لكن بصيغة: مك:

«ل ع ب د م ك بن س ل م (و) و (ج م ع ل) بواسطة عبد مك بن سالم وحزن على...» (الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، نقوش قارا الثمودية بمنطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية، النقش رقم 74، الرياض 1421 هـ ، ص 69).

كما ورد الاسم مكة بالتأنيث أيضاً:

«ل ع ر ج ب ن ا م ر و ت ش و ق ا ل ع ب د م ك ا ت

بواسطة ع ر ج بن أمر واشتاق إلى ع ب د م ك ا ت» (المصدر السابق، ص 21).

وهكذا فلدينا «عبد مك» و«عبد مكة»، وهو ما يشير إلى وجود إله ذكر وإلهة أنثى يحملان اسمين من الجذر نفسه. كذلك ورد الاسم «مك» في النقوش الصفائية. فقد ورد في النقش رقم ZeGA7 الذي يقول:

«لـ عبد مك بن غنم ذ آل أبسط»

وكذلك في النقش Ms 26 الذي يقول:

«لـ عبد مك بن ردفن وبني».

وورد الاسم كذلك في النقش الحسمائي رقم 3.MNM 7:

«لـ أسلم بن عبد مك بن كهل بن عبد مك».

بالتالي، فقد كان «مكو» إلهاً شهيراً في شمال الجزيرة العربية.

ويبدو لي أن هذا الإله هو ذاته «ميكال» الذي عُثر عليه في مسلة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد في بيسان بفلسطين. فالاسم ميكال يعني: الإله ميكا، أي الإله المكاء أو الإله مكو. كما أن الملاك «ميكائيل» في المسيحية والإسلام واليهودية هو أيضاً هذا الإله وقد نزل به إلى مرتبة نبوية. وفي «رحلة سنوهي» المصرية من القرن العشرين قبل الميلاد، كان زعيم القبيلة التي لجأ إليها سنوهي يدعى «مكو». وهناك خلاف حول مكان هذه القبيلة. فهناك من رأى أنها في سهل البقاع في لبنان أو في شمال سوريا. وأنا ميال إلى أن منازلها تقع في جنوب فلسطين وشمال الجزيرة العربية.

فوق هذا كله، فقد ورد في الرسالة رقم EA 64 من رسائل تل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، الموجهة من «عبدي أشتارتي» إلى الفرعون، كلمتا «مكيتو» و«بكيتي». وقد حيّر معناهما الباحثين أيضاً. وأنا أعتقد أنهما على علاقة بالإلهين مكو وبكة. بالتالي، فهذان الإلهان عميقا الوجود في تاريخ المنطقة.

لكن السؤال هو: إذن، فكيف صرنا مع «مكة» بدل «مكو»؟

والإجابة على هذا السؤال ستكون موضوع مادة قادمة.

* شاعر فلسطيني

فيصل بغريش ــ «مكة» (2012)